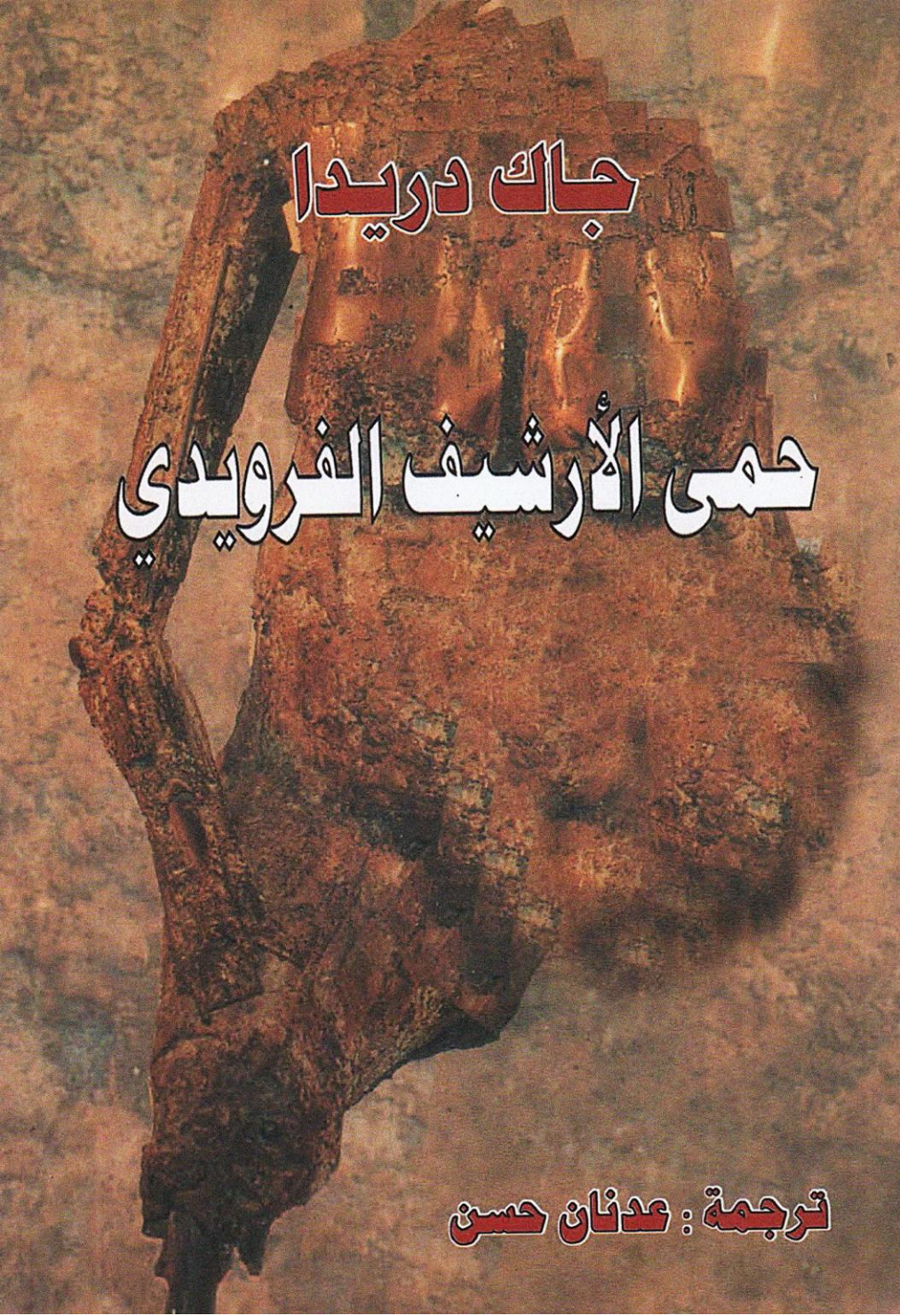
جاك دريدا
حمى الأرشيف الفرويدي
ترجمة : عدنان حسن

* حمى الأرشيف الفرويدي
* تأليف: جاك ديريدا
* ترجمة: عدنان حسن
* الطبعة الأولى: 2003
* جميع الحقوق محفوظة للناشر©
* الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع
سورية ــ اللاذقية ــ ص. ب 1018
هاتف وفاكس: 963 41 422339
البريد الالكتروني: soleman@scs-net.org.

العنوان الأصلي للكتاب

Jacques Derrida
ARCHIVE FEVER (Mal d'archive):
A Freudian Impression
Diacritics / summer 1995.

جـاك ديريدا

ترجمة عدنان حسن

حمى الأرشيف الفرويـدي

دار الحـوار

حمى الأرشيف ؟ انطباع فرويدي*

* هذا الكتاب هو بالأصل محاضرة ألقيت في 5 حزيران من عام 1994 في لندن أثناء مؤتمر دولي تحت عنوان: الذاكرة: مسألة الأرشيف. تم تنظيمه بمبادرة من رينيه ماجور واليزابيث روديسكو، وعقد تحت رعاية الجمعية الدولية لتاريخ الطب النفسي والتحليل النفسي، ومتحف فرويد ومعهد كورتولد للفن.
أما العنوان الأصلي لهذه المحاضرة فهو: / مفهوم الأرشيف: انطباع فرويد وتم تعديله بعد المؤتمر.
العنوان الفرنسي هو: "Mal d' archive: une Impression Freudienne"

دعونا ألا نبدأ بالبداية، ولا حتى بالأرشيف، بل، بالأحرى، بكلمة "أرشيف" ؟ وبأرشيف كلمة مألوفة للغاية.

إن كلمة [أرخي] Arkhe، كما نذكر، هي اسم يفيد معنى البدء commencement والأمر commandment بآن معاً. هذا الاسم يدمج ظاهرياً مبدأين في مبدأ واحد: المبدأ وفقاً للطبيعة أو للتاريخ، هناك حيث تبدأ الأشياء ؟ المبدأ الفيزيائي أو التاريخي، أو الوجودي [الأنطولوجي] ؟ بل أيضاً المبدأ وفقاً للقانون (الناموس)، هناك حيث يأمر البشر والآلهة، هناك حيث تُمارس السلطة والنظام الاجتماعي، في هذا المكان الذي يُصدر منه الأمر ــ إنه المبدأ الناموسي. هناك، قلنا، وفي هذا المكان. كيف لنا أن نفكر بهناك؟ وبهذا الحدوث أو هذا الامتلاك للمكان، هذا الحدوث الذي يمتلكه المرء للأرخي؟

لدينا هناك مرتبتان للأمر: الأمر التسلسلي sequential والأمر الأمري jussive. من هذه النقطة فصاعداً، فإن سلسلة

من الانشطارات سوف تقسم بشكل متواصل كل ذرة من معجمنا.

في أرخي البدء لمحت إلى البدء وفقاً للطبيعة أو وفقاً للتاريخ، الذي يقدم بشكل مكتوم سلسلة من التضادات المتأخرة والإشكالية بين الفيزيس physis [الطبيعة] وأخرياته: thesis [الأطروحة]؟ tekhné التقنية، الـ nomos [الناموس].. الخ، التي يتبين أنها تعمل بالمبدأ الآخر، المبدأ الناموسي للأرخي، مبدأ الأمر. سيكون كل شيء بسيطاً لو كان ثمة مبدأ واحد أو مبدأان. فكما راودنا الشك طويلاً، لا يوجد شيء من هذا القبيل، مع أننا ننسى ذلك دوماً. ثمة دائماً أكثر من واحد ــ وأكثر أو أقل من اثنين. في مرتبة البدء كما في مرتبة الأمر.

إن مفهوم الأرشيف يقي في ذاته، بالطبع، هذه الذاكرة للاسم أرخي. لكنه أيضاً يقي ذاته من هذه الذاكرة التي يقيها: إلى درجة القول أيضاً بأنه ينساها. لا شيء عرضياً أو مفاجئاً في ذلك. على العكس من الانطباع الذي يمتلكه المرء غالباً فإن هذا المفهوم ليس من السهل أرشفته. إذ يواجه المرء صعوبة، ولأسباب جوهرية، في إثباته وتفسيره في الوثيقة التي يقدمها لنا، هنا في الكلمة التي تسميه، أي الـ "أرشيف". في الواقع، يشير المصطلح بطريقة ما، كما يعتقد المرء بشكل صحيح، إلى الأرخي بالمعنى الفيزيائي أو التاريخي أو الوجودي الذي يرادف الأصلي، الأولي، المبدأي، البدائي، باختصار: البدء commencement. ولكن الأكثر من ذلك حتى، وقبل ذلك

حتى، هو أن "archive" يشير إلى arkhé بالمعنى الناموسي، إلى arkhé الأمر. فكما هو الحال بالنسبة لكلمة archivum اللاتينية وكلمة archium ــ (كلمة تستعمل في صيغة المفرد، مثلما كانت تستعمل سابقاً الكلمة الفرنسية في صيغة المفرد المذكر "un archive") ــ فإن معنى "archive"، المعنى الوحيد، يأتي من الكلمة اليونانية أرخيون arkheion: التي تعني أساساً: بيت، مسكن، عنوان، سكنى كبار القضاة، الأرخونات archons أولئك الذين كانوا يأمرون. لذلك فإن المواطنين الذين يمسكون بالسلطة السياسية ويحملون شارتها كانوا يُعتبرون أنهم يمتلكون الحق في صنع أو سَنّ القانون. بسبب سلطتهم المعترف بها علناً فإن أرشفة الوثائق الرسمية إنما تتم في بيتهم، في ذاك **المكان** الذي هو منزلهم (المنزل الخصوصي، منزل الأسرة، أو منزل المستخدَم). فالأرخونات هم قبل كل شيء حراس الوثائق. إنهم لا يضمنون الأمن الجسدي (الفيزيائي) لما هو مُوْدَع والأمن المادي للطبقة السفلية substrate فحسب، بل إنهم أيضاً يمنحون الحق والكفاءة التأويليين. إنهم يمتلكون القدرة على تفسير الأرشيفات. هذه الوثائق، التي يُعهد بها إلى هؤلاء الأرخونات هي، في الواقع، التي تنص على القانون: إنها تستعيد القانون وتطالب بالقانون أو تفرضه. لكي تكون محروسة على هذا النحو، ضمن النطاق السلطوي لصياغة القانون، فقد كانت بحاجة إلى حارس وإلى مركزة بآن معاً. حتى في حراستها أو

في تراثها التأويلي، لم يكن بمقدور الأرشيفات أن تستغني عن الطبقة السفلية ولا عن السكنى.

لذلك، ففي هذا الإسكان domiciliation، في هذه الإقامة الجبرية، تحدث الأرشيفات. إن المسكن، هذا المكان الذي يسكنون فيه بشكل دائم، يَسِمُ العبور المؤسساتي من الخصوصي إلى العمومي، الذي لا يعني دائماً انتقالاً من السري إلى اللا سري (وهو ما يحدث، هنا تماماً، عندما يصبح منزل ما، آخر منزل لآل فرويد، متحفاً: الانتقال من مؤسسة إلى أخرى). بهذه الحالة، فإن الوثائق، التي ليست دائماً كتابات استطرادية، لا تُحفظ ولا تُصنف تحت عنوان الأرشيف إلا بفضل طوبولوجيا ذات امتياز. إنها تسكن هذا المكان غير العادي، هذا المكان المختار الذي يتقاطع فيه القانون والفردية في الامتياز. بتقاطع الطوبولوجي [الموقعي / المكاني] والنومولوجي [الناموسي]، تقاطع المكان والقانون، تقاطع الطبقة السفلية والسلطة، يصبح مشهد الإسكان مرئياً ولا مرئياً بآن معاً. إنني أشدد على هذه النقطة لأسباب سوف تتضح أكثر فيما بعد، كما آمل. إنها جميعاً ذات ارتباط بهذه النمولوجيا المكانية topo- nomology بهذا البعد الأرخوني للإسكان، بهذه الوظيفة البدئية archic، وفي الحقيقية، الوظيفة البطريركية، التي لولاها لم يعمل أو يظهر أي أرشيف على هذا النحو: أن يقي نفسه وأن يُوقى، أن يحجب نفسه. هذه الوظيفة الأرخونية ليست وظيفة طوبو ــ نومولوجية فحسب. فهي لا تتطلب فقط أن يكون الأرشيف مودعاً في مكان

ما، على طبقة سفلية مستقرة وتحت تصرف سلطة تأويلية شرعية. إن القدرة الأرخونية، التي تضم أيضاً وظائف التوحيد والتصنيف والتعريف يجب أن تقترن بما سندعوها القدرة على الاستيداع. ولا نقصد بالاستيداع، بالمعنى العادي للكلمة، فعل تخصيص مأوى أو فعل الائتمان على كذا بوصفه وضعاً في الحفظ [الصون] (تسليم، إيداع) في كل مكان وعلى الطبقة السفلية فحسب، بل نقصد هنا فعل التخصيص من خلال جمع الإشارات معاً. إنه ليس فقط الـ consignatio التقليدي، أي البرهان المكتوب، بل كل ما يبتدئه الـ consignatio عن طريق الإفتراض المسبق. إن الاستيداع يهدف إلى التنسيق في جسم واحد، بنظام أو ترتيب زمني تبين فيه كل العناصر وحدة الشكل المثالي، ففي الأرشيف ينبغي ألا يكون هناك أي انفصال مطلق، أي تغاير heterogeneity أو سر من شأنه أن يفصل (secernere)، أو أي تقسيم، بطريقة مطلقة. إن المبدأ الأرخوني للأرشيف هو أيضاً مبدأ استيداع، أي مبدأ ضم وتجميع gathering together.

من نافلة القول، من الآن فصاعداً، أنه حيثما يحاول المرء، وخصوصاً في التحليل النفسي الفرويدي، إعادة التفكير بالمكان والناموس الذين يصبح الأرخوني وفقاً لهما مؤسساً، حيثما يمكن للمرء أن يستفهم أو يناقش، بشكل مباشر أو غير مباشر، فإن هذا المبدأ الأرخوني، سلطته، عناوينه، أنسابيته genealogy ، الحق الذي يستحقه وينالـه، القانونية أو الشرعية التي يعتمد

عليها، حيثما تبدو الأسرار والتغاير أنها تهدد حتى إمكانية الاستيداع، فإن ذلك لا يمكن أن تكون له سوى تبعات خطيرة بالنسبة لنظرية الأرشيف، كما بالنسبة لتطبيقها الممأسس.

إن علم الأرشيف لابد أن يشمل نظرية هذه المأسسة instiutionalization، أي بمعنى علم القانون الذي يبدأ بنقش ذاته هناك، وعلم الحق الذي يخوله. هذا الحق يفرض أو يفترض حزمة من الحدود التي تمتلك تاريخاً، تاريخاً قابلاً للتفكيك tructabledecons ، وحدوداً على التفكيك الذي لم يكن التحليل النفسي غريباً عليه، على الأقل. هذا التفكيك المستمر يُعنى، كما دائماً، بتأسيس الحدود المعلنة غير القابلة للتجاوز[1] ، سواء تلك التي تضم العائلة، أو قانون الدولة، أو العلاقات بين السري واللاسري، أو، وهذا ليس سيان، بين الخاص والعام، سواءً التي تشمل حقوق الملكية أو حقوق التناول، حقوق النشر أو حقوق النسخ، سواء كان التصنيف أو الترتيب: ما الذي يندرج تحت النظرية أو تحت المراسلات الخاصة، على سبيل المثال؟ ما الذي يندرج تحت النظام؟ تحت السيرة أو السيرة الذاتية؟ تحت التذكر الشخصي أم الفكري؟ في الأعمال التي يقال عنها أنها نظرية theoetical، ما الذي يستحق هذا الاسم وما الذي لا يستحقه؟ هل يتعين على المرء أن يعتمد على ما يقوله فرويد حول ذلك لتصنيف أعماله؟ هل يتعين على المرء، مثلاً، أن يثق بكلامه عندما يقدم كتابه / **موسى والتوحيد**/ "كرواية تاريخية"؟ في كل حالة من هذه الحالات، تعرضت الحدود،

التخوم، والتمييزات للاهتزاز بفعل زلزال لا يمكن أن ينجو منه أي مفهوم تصنيفي وأي تطبيق للأرشيف. إن النظام لم يعد مضموناً.

أحلم الآن بامتلاك الوقت لأتقدم لمناقشتكم بأكثر من أطروحة واحدة، بثلاث على الأقل. لكن هذا الوقت لن يُمنح لي. الأهم من ذلك كله هو أنني لن أملك الحق في أخذ وقتكم لأفرض عليكم، بشكل سريع ومتلاحق، هذه المقالات الثلاث + ن. إن هذه الأطروحات، نظراً لكونها مقدمة لاختبار مناقشتكم، تبقى لذلك، في الوقت الحالي، فرضيات. ولأني عاجز عن تقديم البرهان عليها، لأني مُكرهٌ على طرحها على طول الخط في شكل يبدو في بعض الأحيان دوغماتياً، فإنني سوف أستعيدها بطريقة أكثر نقدية وأكثر شكلية في الخاتمة.

تمتلك الفرضيات سمة مشتركة. إنها جميعاً تُعنى بالانطباع impreession الذي يتركه، برأيي، التوقيع الفرويدي THe Freudian signature على أرشيفه الخاص، على مفهوم الأرشيف والأرشفة؛ أي، بمعنى آخر، بشكل معكوس وكنتيجة غير مباشرة، على التأريخ historiogiograohy. ليس فقط على التأريخ بشكل عام، وليس فقط على تاريخ مفهوم الأرشيف؛ بل ربما أيضاً على تاريخ تَشَكُّلِ مفهوم ما بشكل عام. إننا نقول في الوقت الحالي التوقيع الفرويدي لكي لا يتعين علينا أن نفصل بعدُ بين سيغموند فرويد، اسم العلم، من ناحية أولى، وبين ابتداع التحليل النفسي، من ناحية أخرى: مشروع المعرفة، مشروع

الممارسة، ومشروع المؤسسة، الجماعة، الأسرة، الإسكان، الاستيداع، "البيت" أو "المتحف" في الوضع الراهن لأرشفته. إن ما نحن بصدده إنما يقع بالضبط بين الاثنين.

أما وقد أعلنت عن نواياي هكذا، وقطعت وعداً باستذكارها لكي أختم بطريقة أكثر تنظيماً، أطلب الإذن منكم لكي آخذ الوقت والحرية للدخول في بضع شرودات تمهيدية مطولة.

حاشية

وفقاً لعرف مثبت، فإن الحاشية تلعب بالاستشهاد (الاقتطاف) citation. فالاستشهاد قبل البداية هو إعطاء المفتاح من خلال ترديد كلمات قليلة يُفترض بمعناها أو شكلها أن يؤطر خشبة المسرح. بعبارة أخرى، تتوقف الحاشية على الإفادة من الإيجاز. على مراكمة رأس المال مقدماً وعلى تحضير فائض القيمة للأرشيف. تفيد الحاشية في الاختزان سلفاً والأرشفة المسبقة لمعجم ينبغي، منذئذ فصاعداً، أن ترسي القانون وتمنح النظام the o rder، حتى لو كان ذلك يعني اكتفاءها بتسمية المشكلة، أي الموضوع. بهذه الطريقة، فإن الحاشية تمتلك في الوقت نفسه وظيفة تأسيسية institutive ووظيفة حفظية (صونية) conservative: عنف السلطة (Gewalt) التي تثبّت القانون وتحفظه في وقت واحد، كما يقول [فالتر] بنيامين Benjamin في كتابه / Zur Kritik der Gewait / [في نقد

السلطة]. إن موضوع النقاش هنا، ابتداءً بالحاشية، هو عنف الأرشيف ذاته، كأرشيف، كعنف أرشيفي archival violence.

لذلك فإن المجاز الأول للأرشيف، لكل أرشيف، إذ سنتوصل إلى بعض الاستدلالات مِن ذلك، هو، في الوقت نفسه، مجاز تأسيسي وحفظي. مجاز ثوري وتقليدي. إنه أرشيف **اقتصادي** nomic–eco بهذا المعنى المزدوج: إنه يحتفظ، يضع في الحفظ، ينقذ، ولكن بشكل غير طبيعي، أي بمعنى إيجاد القانون (الناموس) (nomos) أو بجعل البشر يحترمون القانون. منذ لحظة دعوناه بالناموسي nomological. إنه يمتلك قوة القانون، قوة قانون هو قانون البيت (oikos)، قانون البيت كمكان، كمسكن، كأسرة، كذرية أوكمؤسسة. إن بيت فرويد، وقد اصبح متحفاً، يستوعب كل قوى الاقتصاد هذه.

ثمة استشهادان سوف يمارسان بحد ذاتهما، في شكلهما الحاشيوي exergual، وظيفة الاقتصاد الأرشيفي هذه. لكنهما بالإشارة إلى هذا الاقتصاد، إشارة صريحة وضمنية، سيمتلكان أيضاً هذه الوظيفة كثيمة (موضوعة) أو كموضوع. هذان الاستشهادان يعنيان بـــ ، ويربطان بينهما، ربما بشكل سري، مكانين **للنقش**: الطباعة printing والختان Circumcision.

(1)

إن أولى هاتين الحاشيتين هي الأكثر طباعية typographical. فالأرشيف يبدو هنا أنه ينطبق بشكل افضل على مفهومه. لأنه معهود به إلى الخارج، إلى طبقة سفلية خارجية external وليس، كما إشارة الميثاق في الختان، على علامة حميمية، مباشرة على ما يدعى الجسد تماماً. ولكن أين يبدأ الخارج؟ هذا السؤال هو سؤال الأرشيف. مما لا شك فيه أنه لا توجد أسئلة أخرى. في بداية الفصل السادس من كتابه / Civilization and its Discontents / [عسر الحضارة] (1929 ــ 1930) يتظاهر فرويد بالقلق. ألا تراه يستثمر في إنفاق عديم الجدوى؟ أليس هو في سيرورة تعبئة لآلة أرشفة ثقيلة جداً (مطبعة، طباعة، حبر، ورق) ليسجل شيئاً ما لا يستأهل في النهاية هذه الكلفة؟ هل إن ما يُعد لتسليمه إلى عمال الطباعة ليس تافهاً للغاية إلى درجة أنه متوفر في كل مكان؟ إن المعجم الفرويدي هنا يشدد بالفعل على تكنولوجيا "طباعة" بعينها

للأرشفة (Eindruck, Druck, drücken)* ولكن فقط لكي يدعي الحساب الاقتصادي المغلوط. إن فرويد يُودع لدينا "الانطباع" (Empfindung)، الشعور الذي يثيره هذا الاستثمار المفرط والمجاني في النهاية في أرشيف ربما يكون عديم الجدوى: //في أي من كتاباتي السابقة لم يتملكني شعور Empfindung قوي للغاية كما يتملكني الآن شعور بأن ما أصفه إنما هو معرفة شائعة [allgemein Bekanntes] وأنني أستهلك الورق والحبر [Papier und Tinte] وبعد فترة وجيزة، عمل ومادة المنضّد والطابع [Setzerarbeit und Druckerschwärze aufbieten] لكي أشرح أشياء هي، في الحقيقة، بديهية، بيّنة بذاتها.. um eigentlich selbstverständliche Dinge zu erzählen] // [SE 21: 117].

خلاصة القول، هذا كثير من الحبر والورق دون مقابل، مجلد طباعي كامل، باختصار، طبقة سفلية ــ مادية غير متناسبة على الإطلاق، في التحليل الأخير، مع "سرد" (erzählen) قصص يعرفها كل إنسان. لكن حركة هذا الخطاب تقود إلى مكان آخر. لأن فرويد يتوصل إلى استنتاج آخر، بالمنطق الاسترجاعي

* لقد قررنا الإبقاء على المفردات والعبارات الألمانية الموجودة في النص الإنكليزي كما هي وذلك لأن فرويد قد استخدمها وأوردها في نصوصه وكتبه التي يستشهد بها جاك دريدا، ولأن دريدا نفسه قد أوردها كما هي في النص الفرنسي الأصلي لهذا الكتاب (المترجم).

لصيغة المستقبل التام: سيتعين عليه أن يكون قد اخترع افتراضاً أصلياً من شأنه أن يجعل الاستثمار مربحاً. بعبارة أخرى، سيكون عليه أن يكون قد وجد شيئاً ما جديراً في التحليل النفسي: طفرة أو ثغرة ضمن مؤسسة النظرية. وسيكون عليه ليس فقط أن يكون قد أعلن بعض الأخبار، بل سيتعين عليه أيضاً أن يكون قد أرشفها: أن يكون قد دفع بها، كما هو مفترض، إلى المطبعة: //لذاك السبب كنت سأسرّ بفهم النقطة الأساسية لو تبين أن الاعتراف بغريزة عدوانية خاصة، مستقلة eines besonderen selbständigen Aggressiontriebes يعني تبديلاً لنظرية الغرائز التحليلية ــ النفسية// [SE 21a: 117].

إن خطاب ومنطق هذه الفقرة مضللان بشكل مدوخ. وهما معاً الأكثر تضليلاً لأنهما يتظاهران بسذاجة عزلاء. ففيما يمكن قراءته أيضاً كإخراج مسرحي للأرشفة، يبدو فرويد في البداية أنه يؤدي captatio benevolentiae (إحساناً) دمثاً يشبه قليلاً ما أضمره لكم هنا: في النهاية ليس لدي شيء جديد لأقوله. لماذا هذا الوقت المضيّع؟ لماذا أرشفة ذلك؟ لماذا هذه الاستثمارات في الورق، في الحبر، في الحروف؟ لماذا نحشد كل هذا الكم الكبير من التأليف الطباعي؟ هل هذا يستحق الطباعة؟ أليست هذه القصص من المفترض أن تكون معروفة في كل مكان؟

إذا لم يكن ذلك بلا حماقة، فإن هذا الإحسان يتبيّن أنه بحد ذاته إنفاق عديم الجدوى، اختلاق لنوع من "المسألة الخطابية" rhetorical question. بعد ذلك مباشرة، يقترح فرويد، في

الواقع، أن هذه الأرشفة لن تكون عقيمة للغاية، وخسارة خالصة، في الفرضية التي ستؤدي إلى ظهور ما كان يعرف في الحقيقة قبل الآن أنه سيجعله يظهر، ولذلك فإن هذه ليست فرضية بالنسبة له، فرضية خاضعة للنقاش، بل بالأحرى أطروحة لا يمكن مقاومتها، أعني بها إمكانية الانحراف الجذرين في الواقع، إمكانية دافع الموت الشيطاني، دافع العدوان أو دافع التدمير، دافع، بالتالي، الخسارة. تسترجع بقية الفصل كل ما كان قبل الآن، منذ [**ما وراء مبدأ اللذة**] (1920)، قبلئذ بأكثر من عشرين عاماً، قد أدخل هذا الدافع التدميري في الاقتصاد النفسي، أو بالأحرى الاهتدار aneconomy النفسي، في الحصة البغيضة من هذا الإنفاق [ذي] الخسارة الخالصة. هنا يتوصل فرويد إلى استنتاج بخصوص الحضارة و، في الواقع، بخصوص منغصاتها [عسرها] في حين يسلم نفسه إلى نوع من التذكر anamnesis السيروي والنظري والمؤسسي. في سياق هذه الخلاصة، يشدد قبل كل شيء على المقاومات التي تحرض دافع الموت هنا، **في كل مكان**، في الخارج بقدر ما في الداخل، كما هو مفترض، وفي الحلقات التحليلية النفسية كما فيه نفسه: //أتذكر موقفي الدفاعي الخاص (meiner eigenen Abwehr) عندما ظهرت لأول مرة فكرة غريزة التدمير في أدبيات التحليل النفسي وكم استغرق ذلك من الوقت قبل أن أصبح متقبلاً لها// [SE 21: 120]. وكان سابقاً قد أدلى بملاحظتين، بالمناسبة، ينبغي ألا تفوتنا ملاحظتهما. أولاً، قبل

التغلب على هذه المقاومة، لم يعد بإمكانه التفكير بطريقة أخرى (Ich nicht mehr anders denken kann) بالنسبة لسيغموند فرويد نفسه، فإن دافع التدمير لم يعد فرضية قابلة للجدل. حتى لو كان هذا التأمل لا يتخذ أبداً شكل أطروحة ثابتة، حتى لو لم يكن مطروحاً أبداً، فإنه اسم آخر للـــ Anaké ، الضرورة التي لا تُقهر. كما لو أن فرويد لم يعد بمقدوره أن يقاوم، من الآن فصاعداً، الانحراف الأصلي والمتعذر إصلاحه، للدافع الذي يسميه هنا، في بعض الأحيان، دافع الموت وأحياناً دافع العدوان، وفي أحيان أخرى دافع التدمير، كما لو أن هذه الكلمات الثلاث مترادفة في هذه الحالة.

ثانياً، إن هذا الدافع الثلاثي الأسماء دافع أخرس (stumm). إنه يقوم بعمله، ولكن بما أنه يمارس عمله دائماً بصمت، فإنه لا يترك أبداً أي أرشيفات لذاته. إنه يدمر مسبقاً أرشيفه الخاص به، كما لو أن ذلك في الحقيقة هو التحفيز ذاته لحركته الأكثر ملاءمة. إنه يعمل ليدمر الأرشيف: بشرط المحو، ولكن أيضاً بقصد طمس آثاره "التامة" ــ التي لا يمكن بالنتيجة أن تدعى تماماً بـــ "التامة". إنه يلتهمه حتى قبل إنتاجه إلى الخارج. هذا الدافع، منذئذ فصاعداً، يبدو ليس فقط anarchic (فوضوياً)، anarchontic (يجب ألا ننسى أن دافع الموت، مع أنه قد يكون أصلياً، فهو ليس قبل كل شيء لا أرشيفي، كما يمكن للمرء أن يقول، أو أرشيفوحجري archiviolithic ــ إنه سيكون على

الدوام مدمراً للأرشيف، بمهمة صامتة. مع أخذ الاستثناءات بعين الاعتبار. ولكن ما هي الاستثناءات في هذه الحالة؟

إن دافع الفوضى، حتى عندما يأخذ شكل رغبة حيوانية، فإنه يستعصي على الإدراك، بالتأكيد، إلا باستثناء: أي، يقول فرويد، إلا إذا تنكّر، إلا إذا تلوّن، تزيّن (تمكيج أو انطلى) (gefäbst) بلون إيروسي ما. هذا الانطباع ذو اللون الإيروسي المنشأ erogenous يرسم قناعاً على الجلد تحديداً. بعبارة أخرى، إن الدافع الأرشيفو ــ حجري غير موجود أبداً لدى الشخص، لا في ذاته ولا في آثاره. إنه لا يترك أي أثر باقٍ (آبِدْ)، لا يترك أية وصية أو وثيقة تخصه. إنه كإرث، لا يترك سوى شبيهه الإيروسي، اسمه المزيف المكتوب بالطلاء، أصنامه الجنسية، أقنعته الإغوائية: الانطباعات الجميلة. هذه الانطباعات ربما تكون هي الأصل بالضبط لما يدعى بشكل غامض للغاية جمال الجميل. كذكريات الموت.

لكن، وهذه هي النقطة التي ينبغي التأكيد عليها، هذه القوة الأرشيفو ــ حجرية لا تترك شيئاً من ذاتها خلفها. مثلما أن دافع الموت، بحسب الكلمات الأكثر إدهاشاً لفرويد ذاته، دافع عدوان ودافع تدمير (Destruktion)، فإنه لا يحرض فقط على النسيان، فقدان الذاكرة، انعدام الذاكرة، بمثابة mnémé أو anamnésis، بل إنه أيضاً يأمر بالطمس الجذري، الاجتثاث الفعلي، لما لا يمكن أبداً أن يُختزل إلى mnémé أو إلى anamnésis ، أي، الأرشيف، الاستيداع، الجهاز الوثائقي أو

التذكاري بوصفه hypomnéma ، الملحق التقني ــ الذاكري mnemotechnical أو التمثيلي أو المساعد أو المذكرة memorandum. لأن الأرشيف، إذا كانت هذه الكلمة، أو هذا المجاز، يمكن ترسيخها بحيث تتخذ تدليلاً signification ، لن يكون أبداً ذاكرة أو تذكراً كخبرة عفوية وحية وجوانية. بالمقابل، فإن الأرشيف يحدث في مكان الانهيار الأصلي والبنيوي لما تسمى الذاكرة. //لا يوجد أرشيف بدون مكان استيداع، بدون تقنية استعادة، وبدون برانية exteriority بعينها. لا أرشيف بدون خارج//.

دعونا لا ننسى هذا التفريق الإغريقي بين mnémé و anamnésis من ناحية و hypomnéma من ناحية أخرى. فالأرشيف هو hypomnesic (نو صلة بقصور الذاكرة). دعونا نلاحظ بالمناسبة مفارقة حاسمة لن نجد الوقت للعودة إليها، ولكنها بدون شك تشكل شرطاً لمجمل هذه الملاحظات: إذا كان لا يوجد أرشيف بدون استيداع **في مكان خارجي** يضمن إمكانية الاستذكار، إمكانية التكرار، إمكانية النسخ أو إمكانية إعادة الانطباع، فيجب علينا عندئذ أن نتذكر أيضاً أن التكرار ذاته، منطق التكرار، في الحقيقة الدافع القاهر للتكرار، يظل، بحسب فرويد، غير قابل للفصل عن دافع الموت. وبالتالي عن التدمير. بالنتيجة المترتبة تحديداً على ما يجيز ويشرط لأرشفة، لن نجد أبداً شيئاً آخر سوى ما يُعرِّض للتدمير، في الحقيقة ما يهدد بالتدمير مُدْخِلاً، بداهةً apriori ، صفة النسيان والصفة

الأرشيفو حجرية إلى قلب الصرح التذكاري، الأثر الباقي. إلى "ظهر القلب" ذاته.

إن دافع الموت لذلك يميل إلى تدمير الأرشيف المقوي للذاكرة، إلا إذا كان بالإمكان تقنيعه، تزيينه [مكيجته]، طلاؤه، طبعه، إعادة تقديمه، بوصفه الصنم، لحقيقته بالطلاء. لذلك ثمة اقتصاد آخر فعّال، إنه التعامل (التفاعل) بين دافع الموت ومبدأ اللذة، بين الثاناتوس والإيروس، ولكن أيضاً بين دافع الموت هذا والتضاد الثنائي الظاهري للمبادىء، للـــ arkhai، على سبيل المثال تضاد مبدأ الواقع ومبدأ اللذة. إن دافع الموت ليس مبدأ. إنه حتى يهدد كل مبدئية principality، كل أولية primacy أرخونية، كل رغبة أرشيفية. إنه ما سنطلق عليه لاحقاً اسم حمى الأرشيف.

هكذا هو المشهد ضمن ووراء كل إخراج مسرحي بأن معاً: إن فرويد بإمكانه أن يبرر الإنفاق عديم الجدوى ظاهرياً للورق والحبر والطباعة الطباعية، بعبارة أخرى، الاستثمار المرهق في الأرشيف. بتقديم جدة اكتشافه، الاكتشاف ذاته الذي يستثير قدراً كبيراً جداً من المقاومة. قبل كل شيء لديه نفسه، وبالتحديد لأن المهمة الصامتة لاستثماره هي إحراق الأرشيف. وتحريض فقدان الذاكرة، الأمر الذي يدحض المبدأ الاقتصادي للأرشيف، هادفاً إلى تخريب الأرشيف بوصفه تراكماً ورسملة capitalization للذاكرة على طبقة سفلية ما وفي مكان براني.

مم يمكن، بشكل عام، أن تتألف هذه الطبقة السفلية؟ ومكان براني بالنسبة لماذا؟ ما الذي يعنيه "براني"؟ هل الختان، على سبيل المثال، هو علامة برانية؟ هل هو أرشيف؟

يبدو دائماً أنه يمكن، مع ذلك، التعويض عن اهتدار aneconomy هذه القوة المعدِمة الرديفة لدافع الموت الشيطاني. هذا هو الظاهر، على الأقل. إن فرويد، بالمناسبة، يقدم مثالاً صارخاً. ففي زمن صدور كتابه / عسر الحضارة / (1929 ــ 1930) كان هذا المثال هو الأهم، من حيث دلالته التاريخية والسياسية. إننا لا نحب، يلاحظ فرويد، أن يتم تذكيرنا بالوجود الذي لا يمكن إنكاره لشر يبدو أنه يناقض الطيبة الغالبة لله. ولكن إذا كان هذا **الشيطان** هو اسم [علم] آخر لأجل الدافع المثلث الأسماء ــ يبدو، إذاً، في أنظار المسيحيين، بالنسبة لـ "العلم المسيحي" Christian science [بالإنكليزية في النص الأصلي]، من غير الممكن مصالحته مع الله ــ فإننا نرى الآن أنه من غير الممكن أيضاً تبرئة الله: الشر لأجل الشر، الشر الشيطاني، وجود الشيطان، يمكن أن يفيد كعذر (Entschuldigung) لصالح الله ، لأنه براني بالنسبة له، ملاك فوضوي ومنشق، في حالة تمرد ضده، تماماً كما، وهذه هي السمة القابلة للجدل التي يتسم بها هذا التشبيه، يمكن لليهودي أن يلعب الدور المشابه للانعتاق والتحرر الاقتصادي (die selbe Ökononisch entlastende Rolle) الذي يرسمه له عالم المثال الآري. بعبارة أخرى، إن التدمير الجذري يمكن **إعادة**

استثماره مرة أخرى بمنطق آخر، في المورد الاقتصادوي economistic الذي لا ينضب لأرشيف يُرسمل كل شيء، حتى ذاك الشيء الذي يدمره أو يرتاب بسلطته بشكل جذري: إن الشر الجذري يمكن أن يكون ذا فائدة، فالتدمير اللا نهائي يمكن إعادة استثماره في الربوبية theodicy، والشيطان أيضاً يمكن أن يفيد لأجل التبرير. هذا هو مآل اليهودي في المثال الآري (قبلئذ في النص ذاته، يتقدم فرويد بنقد ممتع للنزعات القومية واللا سامية يتعين علينا أن نتأمله اليوم، ولكن المجال لا يتسع لإدخاله هنا [SE 21: 120].

بشكل تمهيدي، ونحن لا نزال نحصر أنفسنا بهذه الأرشفة للأرشيف الفرويدي، ينبغي علينا أيضاً أن ننتبه إلى التاريخ [الموعد]. دعونا نتأمل الطراز التقني للآلة ــ الأداة المعدة، بنظر فرويد، للتمثل على الذاكرة الخارجية كأرشفة داخلية، أعني بها المختمة السحرية (der Wunderblock) إن هذا الطراز أيضاً قد تم وصفه وتحليله وتقديمه بعد كتاب / **ما وراء مبدأ اللذة**/. هذا الكتاب الذي يعترف فرويد فيه بتمثيل دور "محامي الشيطان". يشمل هذا الوصف بضعة إلماحات إلى ما هو مشروط، في توظيف هذه المختمة السحرية، بالوصف الأسبق له، في كتاب / **ما وراء مبدأ اللذة** / لبنية الجهاز النفسي. لدى ترجمة وتقصي هذا الـ Notiz über den Wunderblock الغريب، حاولت منذ زمن طويل أن أحلل، بشكل دقيق قدر المستطاع، العلاقة بين طراز الأرشفة والتقانة

وبين الزمن والموت. فجربت أن أزيل قيود التفكير بهذا النص المولد من داخل التوكيدات الميتافيزيقية التي يُقيد بها، كما يبدو لي. دون أن أستعيد هنا الأسئلة التي طرحتها في حينه (المتعلقة خصوصاً بالمفهوم الفرويدي للأثر التذكيري mnemic الوراثي) [في: الكتابة والاختلاف 197؛ Le ecriture 294]، أود ببساطة أن أورد تعليقاً. لقد لخصت، بشكل مسبق، الأفق الذي أود أن أتبعه بشكل أكثر دقة واختلافاً هذه الليلة. لتمثيل قيام الجهاز النفسي بوظائفه في طراز تقني براني، لم يكن فرويد يملك بتصرفه الموارد المتوفرة اليوم عن طريق الآلات التي لم يكن بمقدور المرء إلا بالكاد أن يحلم بها في الربع الأول من القرن العشرين. فهل تغير هذه الآلات الأرشيفية شيئاً؟ هل تؤثر على أساسيات خطاب فرويد؟ في عام 1966 لاحظت ما يلي (اعذروني على هذا الاستشهاد الطويل، فلن أبيح لنفسي أية استشهادات أخرى): //إن المختمة السحرية، المفصولة عن المسؤولية النفسية، هي تمثل متروك لذاته، ولا تزال تساهم في الفراغ والميكانيك الديكارتيين: شمع طبيعي، برانية إسعاف للذاكرة. إن كل ما خطر ببال فرويد حول وحدة الحياة والموت ينبغي، مع ذلك، أن يكون قد دفعه إلى طرح أسئلة أخرى. وإلى طرحها صراحة. لا يتفحص فرويد صراحة وضع الملحق "المشيَّأ" الضروري للعفوية المزعومة للذاكرة، حتى لو كانت تلك العفوية متمايزة في ذاتها، تعوقها الرقابة أو الكبت اللذان لا يقدران، علاوة على ذلك، على التأثير على الذاكرة العفوية

تماماً. بعيداً عن كون الآلة غياباً خالصاً للعفوية، فإن شبهها بالجهاز النفسي ووجودها وضرورتها تمثل شاهداً على محدودية العفوية الذاكرية التي يتم استكمالها بذلك. إن الآلة ــ بالنتيجة، التمثيل representation ــ هي الموت والمحدودية داخل النفس. ولا يتفحص فرويد إمكانية هذه الآلة، التي بدأت، في العالم، تشبه الذاكرة على الأقل، وتشبهها بشكل متزايد على نحو أشد. إن شبهها بالذاكرة هو أشد من شبه المختمة السحرية البريئة. إن هذه الأخيرة هي، بدون شك، أعقد بشكل لا نهاية له من الاردواز أو الورق، وهي أقل عراقة من اللوح الممسوح، ولكنها، بالمقارنة مع الآلات الأخرى لتخزين الأرشيفات، لعبة أطفال//. [الكتابة والاختلاف 37 – 336].

إن موضع الجدال هنا ليس شيئاً أقل من **المستقبل**، إذا كان ثمة شيء كهذا: مستقبل التحليل النفسي في علاقته بمستقبل العلم. كعلم تقني، كعلم، في حركته بالذات، لا يمكن الاعتماد سوى على تحول تقنيات الأرشفة والطباعة، النقش والنسخ والتشكيل والتشفير وعلامات الترجمة. إن الأسئلة التي تبرز الآن هي من مرتبتين على الأقل:

1 ــ أسئلة المرتبة الأولى التي تتعلق بالعرض النظري للتحليل النفسي. إنها تعنى **بموضوعه**، وبالأخص كل ما يستثمر في النماذج التمثيلية للجهاز النفسي بوصفه جهازاً للإدراك، للطباعة، للتسجيل، للتوزيع الموضوعاتي لأماكن النقش، وللكبت والإزاحة والتكثيف. لا داعي للقول أن هذه هي أسماؤنا لكثير

من أماكن القراءة والتفسير.. وهذا هو السبب في أن حقل هذه الأسئلة ليس حقلاً بمعنى الكلمة. إنه لم يعد بالإمكان رسم حدوده. بمعزل عن التحفظات التي صغتها في / **فرويد ومشهد الكتابة** / حول الافتراضات المسبقة للنمذجة ذاتها (وهذه التحفظات لن أعود إليها هنا)، يمكننا، على الأقل، أن نسأل، بخصوص الأساسيات، وما وراء التفاصيل العرضية، ما إذا كانت بنية الجهاز النفسي، هذا النظام، الذاكري mnesic والمقوي للذاكرة hypomnesic بآن معاً، الذي أراد فرويد أن يصفه "بالمختمة السرية"، تقاوم تطور العلم التقني للأرشيف أم لا. هل الجهاز النفسي ممثَّل على نحو أفضل أم أنه يتأثر بشكل مختلف بكل البدائل لما تدعى بالذاكرة الحية، لأجل الصور الزائفة للكائنات الحية التي تكون قبلئذ، وستكون على نحو زائد، أكثر نقاءً، أكثر تعقيداً، وأكثر قوة من "المختمة السرية" (الحساب الميكروي microcomputing، الألكترنة electronization، الحوسبة computerization ... الخ) ؟ إن أياً من هذه الفرضيات لا يمكن اختزالها إلى الأخرى. لأنه لو أثرت القفزات في الارتقاء على الجهاز النفسي ذاته، على سبيل المثال في عمارته الفراغية، وفي اقتصاده للسرعة، وفي معالجته للمباعدة spacing وللمؤاقتة temporalization، لما عادت كونها مسألة ارتقاء مستمر وبسيط في التمثيل، في القيمة التمثيلية للنموذج، بل بالأحرى مسألة منطق مختلف تماماً.

2 ــ أسئلة أخرى ذات صلة، لكنها من مرتبة أخرى: إنها لا تعود تُعنى فقط بالموضوع النظري للتحليل النفسي في عرضه بل تعنى بالأحرى بأرشفة التحليل النفسي ذاته، أرشفة "حياته"، إذا شئت، أرشفة "أفعاله"، إجراءاته السرية والعلنية، التي تكون خفية أو ظاهرة، المرمّزة مؤقتاً أو نهائياً؛ إنها تعنى بأرشفة ممارسته المؤسسية والسريرية clinic، بالجانب الأكاديمي، العلمي، القضائي ــ التحريري juridico - editiorial لمشاكل النشر الهائلة، أو لمشاكل الترجمة التي نعرفها. إن كلمة "أفعال" acts يمكنها أن تسمي هنا، بآن معاً، محتوى ما يؤرشَف والأرشيف ذاته، الأشياء القابلة للأرشفة وأرشفة الأرشيف: المطبوع وطباعة الانطباع. سواءً كانت تلك مسألة الحياة الخاصة أم العامة لفرويد، لشركائه أو لورثته، وأحياناً أخرى لمرضاه، المبادلات الشخصية أو العلمية، للرسائل أو التشاورات، أو القرارات السياسية ــ المؤسسية، للممارسات وقواعدها (على سبيل المثال، ممارسات وقواعد ما يسمى "الوضع التحليلي)، مكان وطول الجلسات، التداعي الذي يكون حراً، شفهياً، في حضور الشخص أو في حضور المحلل، بدون تسجيل تقني)، بأنه طريقة تحدد مجمل هذا الحقل بحالة تكنولوجيا الاتصال والأرشفة؟ يمكن للمرء أن يحلم ويتأمل في الصدمات الجيو ــ تكنولوجية التي جعلت مشهد الأرشيف التحليلي النفسي غير قابل للتمييز على مدى القرن المنصرم لو أن، لأحصرنّ نفسي بهذه المؤشرات، فرويد، ومعاصريه

ومعاونيه، وأتباعه المباشرين، بدلاً من كتابة آلاف الرسائل باليد، كانوا يمتلكون حرية الوصول إلى بطاقات الائتمان الهاتفية MCI و ATT ، مسجلات الأشرطة النقالة، الحواسيب، الطابعات، الفاكسات، التلفزيونات، أجهزة عقد المؤتمرات عن بعد teleconference، وفوق ذلك كله البريد الإلكتروني E - mail.

كنت أود أن أكرس محاضرتي بأكملها لهذا الخيال العلمي الاسترجاعي. وكنت أود أن أتخيل معكم مشهد ذاك الأرشيف الآخر بعد الزلزال، وبعد الـــ "apré - coups" لصدماته التالية. هذا هو، في الواقع، المكان الذي نكون فيه. لما كنت غير قادر على فعل ذلك، بسبب التنظيم البدائي لحلقاتنا الدراسية، بسبب الزمن والمكان الموضوعين تحت تصرفنا، فإنني سأحصر نفسي بملاحظة ميكانيكية: إن هذا الزلزال الأرشيفي لم يكن ليحصر آثاره بالتسجيل الثانوي secondary recording، بطباعة وحفظ تاريخ التحليل النفسي. ولكان قد حوّل هذا التاريخ من القمة إلى القاعدة، وفي الصميم الأكثر أزلية لإنتاجه، في أحداثه events ذاتها. هذه طريقة أخرى للقول بأن الأرشيف، كطباعة، ككتابة. كجراحة ترقيعية prosthesis أو كتقنية مرتبطة بقصور الذاكرة عموماً ليس فقط هو المكان لأجل اختزان وحفظ محتوى قابلاً للأرشفة من الماضي الذي كان سيوجد هكذا، بأي حال، بدون الأرشيف، كما لا يزال يعتقد المرء أنه كان أو سيكون.

لا، لا، إن البنية التقنية لأرشفة الأرشيف تقرر أيضاً بنية المحتوى القابل للأرشفة حتى في ظهوره إلى حيز الوجود تحديداً وفي علاقته بالمستقبل. إن الأرشفة تنتج الحدث بقدر ما تسجله. هذه هي أيضاً خبرتنا السياسية المكتسبة مما تدعى وسائل الإعلام.

هذا يعني أنه في **الماضي** لم يكن التحلي النفسي ما كانه (مثل غيره من الأشياء الأخرى الكثيرة جداً) لو كان البريد الإلكتروني، على سبيل المثال، موجوداً. **وفي المستقبل** لن يعود موجوداً ما توقعه فرويد والكثيرون جداً من المحللين النفسانيين، منذ اللحظة التي أصبح فيها البريد الإلكتروني، على سبيل المثال، ممكناً. بإمكان المرء أن يجد أدلة كثيرة غير البريد الإلكتروني. هذا المثال، كتكنولوجيا (تقانة) بريدية، يستحق بعض الامتياز بلا ريب. قبل كل شيء بسبب الدور الكبير والاستثنائي (استثنائي في تاريخ المشاريع العلمية) الذي لعبته المراسلات المكتوبة باليد في صميم الأرشيف ومعالجة هذا الكم الهائل، غير المنشور جزئياً، والسري جزئياً، وربما المدمَّر جزئياً بشكل جذري وغير القابل للإعادة ــ على سبيل المثال من قبل فرويد نفسه. من يدري؟ يجب على المرء أن يدرس الأسباب التاريخية وغير العرضية التي ربطت هذه المؤسسة، بأبعادها النظرية والعملية، بالاتصال البريدي وبهذا الشكل الخاص من البريد، بطبقاته السفلية، بسرعته الوسطية: فالرسالة المكتوبة باليد تستغرق أياماً كثيرة لتصل إلى مدينة أوروبية

أخرى، وليس ثمة شيء مستقل أبداً عن هذا التأثير. كل شيء يظل على إيقاعه.

لكن مثال البريد الإلكتروني يحظى بالامتياز، برأيي، لسبب أهم وأوضح: لأن البريد الإلكتروني اليوم، وحتى أكثر من الفاكس، هو في طريقه إلى تغيير فضاء البشرية العمومي والخصوصي برمته، وقبل كل شيء الحد [الفاصل] بين الخصوصي، والسري (الخاص والعام)، وبين العمومي أو الظاهراتي phenomenal. هذه ليست تقنية فحسب، بالمعنى العادي والمحدد للمصطلح: فعلى إيقاع لم يسبق له مثيل، بشكل شبه فوري، لا بد أن تترافق هذه الإمكانية الأداتية instrumental لإنتاج وطباعة وحفظ وإتلاف الأرشيف بشكل حتمي بتحولات قضائية وبالتالي سياسية. لا يؤثر هذا على شيء كما يؤثر على حقوق الملكية [الفكرية] وحقوق النشر والنسخ. فيما يتعلق بأبعاد هذه التحولات الماضية قدماً وتمشياً معها، مع هذه الاضطرابات الجذرية واللا متناهية، يجب علينا اليوم أن نقيّم الأعمال الكلاسيكية التي لا تزال باقية في خلية نحل الدراسات الفرويدية التي تعنى بمخطوطات فرويد وبمخطوطات فرويد وبمخطوطات أصدقائه الحميمين، والمراسلات المنشورة والتي لم تُنشر بعد، المنشورات والمنشورات المعادة، المسودات والمخططات الأولية، المتاحة وغير المتاحة، التسريبات الشهيرة لمكتبة الكونغرس.. الخ. هذه الأعمال الكلاسيكية وغير العادية تنأى عنا بسرعة كبيرة، بطريقة متسارعة باستمرار. إنها تقبع

في الماضي على مسافة شبيهة أكثر فأكثر بالمسافة التي تفصلنا عن الحفريات الأركيولوجية (الآثارية) (ذاك النشاط الغريب الذي يتحدث عنه مؤلف **غراديفا Gradiva**، والذي سنعود إليه قريباً)، وعن الفيلولوجيا التوراتية وعن ترجمات الكتاب المقدس، من لوثر Luther إلى روتسنفايغ Rozenweig أو إلى بوبر Buber، أو عن تأسيس الكتابات القابعة تحت الذاكرة لأفلاطون أو أرسطو من قبل نساخي القرون الوسطى. هذه طريقة أخرى للقول بأنه لا يستبعد شيئاً من النبل المثير للإعجاب، من الضرورة التي لا جدال حولها، ومن الشرعية المحققة لهذه الفيلولوجيا الكلاسيكية التي هي أكثر بكثير من مجرد فيلولوجيا. كن هذا يجب ألا يحجب عن أنظارنا النهوض اللا محدود الجاري قدماً في التقانة الأرشيفية. يجب أن يذكرنا هذا، قبل كل شيء، بأن التقانة الأرشيفية المزعومة لم تعد تقرر، ولن تقرر أبداً، لحظة التسجيل الحفظي فحسب، بل ستقرر بالأحرى تأسيس الحدث القابل للأرشفة. إنها لا تشرط أيضاً المحتوى المطبوع للطباعة: ضغط الطباعة، **الانطباع**، قبل الفصل بين المطبوع والطابع. هذه التقنية الأرشيفية هي التي قضت، حتى في الماضي، بتحديد من منهما هو الذي أسس وأنشأ، أياً كان، وذلك استباقاً للمستقبل.

ورهاناً (gageure). فقد كان الأرشيف على الدوام رهناً (عربوناً)، ومثل كل رهن (gage)، كان تذكاراً للمستقبل. للتعبير عن ذلك بشكل أكثر ابتذالاً: إن ما لم يعد مؤرشفاً

بالطريقة نفسها لا يعود معيوشاً بالطريقة نفسها. فالمعنى القابل للأرشفة يتحدد أيضاً وسلفاً ببنية ذاك الأرشيف. إنه يبدأ بالطابع (عامل المطبعة). سنترك هذه المسائل معلقة في الوقت الحالي. دعونا نعلق ببساطة، وهذا هو الهم الأرشيفي نفسه، على تحديد تاريخ dating شيء ما: هذه "المختمة السرية" ، هذا النموذج **البراني** exterior، وبالتالي الأرشيفي لجهاز التسجيل النفسي، من المخططات الأولية وانتهاءً بمقالات علم ما وراء النفس metapsychology مروراً بكتاب / **تفسير الأحلام** / (Traumdeutung) وخصوصاً ما يُعنى، على سبيل المثال بالكبت، الرقابة، التسجيل Niderschift بنظامي Ucs و Pcs، بوجهات النظر الثلاث (الموضوعاتية، الحراكية [الديناميكية] والاقتصادية). مع الأخذ بالحسبان تعددية المناطق في الجهاز النفسي، فإنه يشمل أيضاً، داخل **النفس** ذاتها، ضرورة [وجود] **خارج** بعينه، حدود بعينها بين الدواخل insides والخوارج outsides. وبهذا الخارج المنزلي domestic outside ، أي بمعنى قولنا أيضاً مع افتراض وجود طبقة سفلية جوانية internal، سطح، أو فراغ لا يوجد بدونه استيداع أو تسجيل (تدوين) أو انطباع، ولا قمع أو رقابة أو كبت، فإنه يحضر فكرة أرشيف نفسي متميز عن الذاكرة العفوية، فكرة قصور الذاكرة hypomnesis المتميز عن الذاكرة mnémé وعن التذكر anamnesis: التأسيس، باختصار، لصورة [زائفة] للداخل قلنا "تأسيس" institution (ويمكن للمرء أن يقول "نصب"

erection) لكي نظهر، منذ العتبة الأصلية لهذا الترقيع prosthesis قطيعة، أصلية بالقدر نفسه، مع الطبيعة. إن نظرية التحليل النفسي، إذاً، تصبح نظرية الأرشيف وليست فقط نظرية الذاكرة. هذا لا يمنع الخطاب الفرويدي من أن يبقى متنافراً، كما حاولت أن أبين في /فرويد ومشهد الكتابة/: "إذ تستمر الموتيفة العدائية والتقليدية الموجودة في هذا الخطاب في معارضة الميتافيزياء إلى حد الوصول إلى النتيجة الصارمة المترتبة على هذه الجراحة الترقيعية، أي منطق قصور الذاكرة".

إن نموذج هذه "المختمة السرية" المنفردة يضم أيضاً ما قد يبدو في هيئة دافع تدمير، يناقض حتى دافع الحفظ (الصون)، أو ما يمكن أن نسميه هنا دافع الأرشيف. وهو ما أطلقت عليه من قبل، وفي ضوء هذا التناقض الجواني، اسم حمى الأرشيف. في الواقع، لا توجد رغبة أرشيف بدون محدودية جذرية، بدون إمكانية نسيان لا تنحصر بالكبت. رغم كل ذلك، وهذا هو الأخطر، فإنه وراء وضمن هذا الحد البسيط الذي يدعى بالنهائية أو المحدودية، لا توجد حمى أرشيف بدون تهديد [من] دافع الموت هذا، دافع العدوان والتدمير.

هذا التهديد **لا نهائي in - finite** ، إنه يطيح بمنطق المحدودية والحدود الفعلية البسيطة، الجماليات المتعالية، أو، كما يمكن أن نقول، إنه يطيح بالشروط الزمكانية للحفظ. دعونا نقول، بالأحرى، إنه يسيء استعمالها. هذه الإساءة للاستعمال تفتح الأبعاد الأخلاقية ــ السياسية للمشكلة. لا يوجد mal

d'archive ، لا يوجد أرشيف واحد، لا يوجد حد واحد، أو معاناة واحدة للذاكرة بين غيرها من الأخريات: بإدراج اللا نهائي (اللا نهاية)، فإن حمى الأرشيف تتاخم الشر الجذري.

(2)

دعونا نضيف استشهاداً ثانياً إلى الحاشية، استشهاداً أقل طباعية typographical من الاستشهاد الأول من نافلة القول، كما قلنا، أنه يحتفظ مع ذلك بالإشارة إلى العلامة الكتابية وإلى التكرار، في الواقع إلى طباعة من النوع النموذجي. بوصفه متكرراً وقابلاً للتكرار، فإنه يدخل التفرد الحرفي إلى المجازية Figurality. مرة أخرى [وهو] ينقش النقش يحيي، على طريقته، بشكل فعلي، ذكرى الختان. إنه تذكار منفرد جداً، إنه أيضاً وثيقة الأرشيف. بطريقة مكرورة، يترك أثر شقٍ على الجلد مباشرة: [على] أكثر من جلد واحد من أكثر من عصر واحد. بالحرف أو بالمجاز. يبدو التطبق الرقائقي، التراكب القشري لهذه العلامات الجلدية، مستعصياً على التحليل، إنه يراكم عدداً كبيراً للغاية من الأرشيفات المرسَّبة، البعض منها مكتوب مباشرة على بشرة الجسم تماماً، والبعض الآخر على الطبقة السفلية substrate لجسم "خارجي". كل طبقة هنا يبدو

أنها تنفغر قليلاً، كشفتي جرح، ما يسمح بالكاد بقبسات من الإمكانية الجهنمية لعمق آخر مقدّر لأجل الحفر الأركيولوجي.

إن له علاقة، ظاهرياً، بشكل أولي، بالنقش الخصوصي private inscription. هذا هو العنوان لأول مشكلة تخص مسألة انتمائه إلى الأرشيف: أي أرشيف؟ أرشيف سيغموند فرويد؟ أرشيف مؤسسة التحليل النفسي أم أرشيف العلم؟ أين يرسم المرء الحد؟ ما هو هذا العلم الجديد الذي ينبغي على أرشيفه المؤسسي والنظري بحق أن يضم الوثائق الأكثر خصوصية، السرية أحياناً؟ بدءاً بوثائق مؤسسه المزعوم، أبيه الأول، بطريركه، فرويد؟ في الواقع، وثائق البطريرك الأول، والد فرويد، ياكوب؟ هذا يقودنا إلى السؤال، المفتوح دوماً، عما يعنيه العنوان "بيت فرويد"، متحف فرويد بوصفه "بيت فرويد"، الأرخيّون arkheion، الذي نحن ضيوفه، **فيه** نتكلم، منه نتكلم، الذي **إليه** نتكلم، ويمكن أن أقول أيضاً: نخاطبه. إن أرشيف النقش الخصوصي المنفرد الذي سأتكلم عنه إنما كان في دائرة العلن لعدة سنوات. يمكن للمرء أن يبلغه بعدة لغات بدءاً بأصله، باللغة العبرية. هذه الوثيقة، العلنية والمعروضة للتفسير، ستكون، من الآن فصاعداً، مترافقة، بشكل لا ينفصم، بجهاز تفسيري أو تأويلي استثنائي.

إنه نقش على شكل إهداء dedication. كتب بيد ياكوب، ابن ر. شلوموه فرويد، البطريرك الأول ، عراب التحليل النفسي، مُوجَّه إلى ابنه، شلوموه سيغموند فرويد، في يوم عيد

ميلاده الخامس والثلاثين، في فيينا، في السادس من أيار، سنة 1891 (29 نيسان 5651). هبة حملت هذا النقش. ما يعطيه الأب لابنه هو الكتابة وطبقتها السفلية بآن معاً. الطبقة السفلية، بمعنى ما، كانت الكتاب المقدس ذاته، "سفر الأسفار"، طبعة فيليبسون للكتاب المقدس التي درسها سيغموند في شبابه. إن أباه يرجعها إليه بعد أن جعلها هدية له، يعيدها كهبة، بغلاف جلدي جديد. التغليف من جديد: هذا فعل حب، حب أبوي. إنه ليس أقل أهمية من النص في **melitzah**، هذه الشطور التوراتية، الليتورجية [الطقسية الدينية] أو الأحبارية التي تؤلف الإهداء المطول وتحمل بدورها أفكار الأب. عن هذا الموضوع يتكلم حول "جلد جيد"، كما تقول الترجمة الإنكليزية للنص العبري.

مثل البعض منكم، كما أفترض، اكتشفت كنز هذا الأرشيف، مضاءً بترجمة جديدة وبتفسير أصيل، في كتاب يوسف حاييم ييروشالمي الأنيق: /**موسى فرويد: اليهودية النهائية واللا نهائية** / Freud's Moses: Judaism Terminable and Interminable] لقد ترك هذا الكتاب لديّ انطباعاً قوياً. فقد منحني اكتشافي الحديث له الكثير للتفكير حوله، أكثر مما يمكنني قوله هنا، مترافقاً مع إعداد هذه المحاضرة. لذلك فإن هذه المحاضرة ستكون مهداة بشكل طبيعي، إذا سمح لي بذلك إلى يوسف حاييم ييروشالمي[2]. لسبب ما، ربما سيتضح لاحقاً، سأتجرأ على إهدائها في الوقت نفسه إلى أبنائي وحتى إلى ذكرى والدي، الذي كان يدعى أيضاً حاييم، هكذا هي الحياة.

هنا الإهداء المؤرشَف الذي نقشه الجد أو البطريرك الأول للتحليل النفسي، ياكوب فرويد، على الكتاب المقدس الذي أعطاه، لكنه في الحقيقة أعاده، sous peau neuve، كما يقولون بالفرنسية، إلى ابنه، أي إلى أبي أو بطريرك التحليل النفسي. يورد ييروشالمي ذلك بمظهر درامي، بوصفه انقلاباً مسرحياً coup de théatre، في نهاية كتابه، مباشرة قبل المظهر الدرامي الآخر لاختلاق [تخييل] جريء، هذا الـ "مونولوج مع فرويد" الاستثنائي، الذي سأعود إليه أخيراً. إنه يرى في هذا الإهداء "فصلاً حاسماً" episode ويتكلم عن "النص المعترف به الوحيد لياكوب فرويد بتصرفنا" [70].

لذلك فإن هذا [الأرشيف] ليس مجرد أي أرشيف ومجرد أية لحظة في تاريخ الأرشيف. فيما بعد، بعد هذه الحاشية، سنرى كيف يقدم ييروشالمي السمة المميزة، بنظره، التدشينية تماماً، لاكتشاف، لقراءة، ولتثبيت هذا الأرشيف "الحاسم" الذي هو، باختصار، الحارس [القيّم] الأول له، القارئ الأول، الطبيب الأول، إنه، في الواقع، الأرخون الشرعي الوحيد له.

في كتلة هذا النقش، يجب علينا على الأقل أن نشدد على كل الكلمات التي تشير بالفعل إلى تأسيس وتناقل القانون (صانعو القانون)، أي ليس إلى ذلك البعد الأرخوني الذي لا يمكن للمرء بدونه أن يحصل على أرشيفات فحسب، بل أيضاً، وبشكل أكثر مباشرة، إلى منطق ومعاني الأرشيف والذاكرة والتذكار، الحفظ والنقش اللذان يضعان في الحفظ ("يخزنان")، يراكمان،

يرسملان، يختزنان عدداً يكاد يكون لا نهائياً من الطبقات، من الرفوف strata الأرشيفية التي تكون في الوقت نفسه متراكبة، منطبعة ومغلفة كلٌ في الآخر. إن القراءة، في هذه الحالة، تتطلب العمل في الحفريات الجيولوجية أو الأركيولوجية، على الطبقات السفلية، أو تحت السطوح، الجلود القديمة أو الجديدة، البشرات ذات الذاكرة المفرطة hypermnesic والبشرات ذات الذاكرة القاصرة hypomnesic للكتب أو الأقضبة penises ــ والجملة الأولى تحديداً تعيد إلى الأذهان، مجازياً على الأقل[3]، ختان أبي التحليل النفسي "في اليوم السابع من سنوات عمرك". سأورد الترجمة التي قدمها بيروشالمي فيما أشدد على كلمات قليلة، ومن ثم سأتخلى عن هذه الحاشية، التي سأعود إليها لاحقاً: //ابني العزيز، شلوموه. في السابع من أيام سنوات عمرك بدأت روح الرب تحركك وتتكلم بداخلك: امضِ، اقرأ كتابي الذي كتبتُ وهناك ستتفجر لك ينابيع الفهم والمعرفة والحكمة. انظر، إنه سفر الأسفار، الذي منه استنبط الحكماء وتعلم المشرعون المعرفة والقضاء. إن رؤية العلي القدير هي ما رأيتَ، وسمعت وسعيت إليها، وحلقتَ على جناحي الروح.

منذئذ تم تخزين الكتاب مثل شذرات الألواح [الرقم] في الفُلك معي. لأن اليوم الذي أتممت فيه سنواتك الخمس والثلاثين، ألبسته غلافاً من جلد جديد وناديته: "تفجّر، أيها النبع، أنشد له!" وقدمته لك تذكاراً ومذكّراً [تذكاراً ومذكراً، هذا وذاك بآن معاً، الواحد في الآخر، ربما، في اقتصاد هاتين الكلمتين يوجد

الناموس الأرشيفي برمته: anamnésis ، mnémé ، hypomneme].

مع الحب من أبيك الذي يحبك حباً أزلياً.//

ياكوب بن ر. شلوموه فرايد [كذا]

في العاصمة مدينة فيينا 29 نيسان 651 [5]

الموافق 6 أيار 891 [1]

[71](4)

تمهيـــد

إنني مدين لكم بلا شك، في بداية هذا التمهيد، بأول شرح فيما يتعلق بكلمة impression(انطباع)، التي تجازف، في عنواني، بكونها كلمة ملغوزة إلى حد ما. لقد أصبحت مدركاً لذلك فيما بعد: عندما طلبت مني إليزابيث روديسكو عنواناً مؤقتاً على الهاتف، لكي ترسل برنامج هذا المؤتمر إلى المطبعة، قبل عام تقريباً من كتابة وطباعة الكلمة الأولى مما أقوله لكم هنا، على الحاسوب، فكان الرد الذي ارتجلته عندئذ بتنضيد كلمة **impression**..

وفي لحظة، كما لو أن **ثلاثة معانٍ** قد تكثفت وانطبعت كل منها على الآخر من مؤخرة ذاكرتي. أيها كانت؟

بدون انتظار، تكلمت إليكم من حاسوبي، الماكينتوش النقال الصغير الذي بدأت الكتابة عليه.لأنه لم يكن فقط الرف السفلي ([الطبقة] السفلية) الأول الذي سيحمل كل هذه الكلمات.ذات صباح جميل في كاليفورنيا، منذ أسابيع قليلة، سألت نفسي سؤالاً

معيناً، من بين الكثير من الأسئلة الأخرى. دون أن أكون قادراً على ايجاد جواب، أثناء قراءة فرويد من ناحية أولى، وبيروشالمي من ناحية أخرى، وفيما أنا أدندن على حاسوبي، سألت نفسي: ماهي اللحظة المناسبة للأرشيف، هل يوجد مثل هذا الشيء، لحظة الأرشيف بالتحديد، وسأعود إلى ذلك، التي ليست ما يسمى ذاكرة حية أو عفوية (mneme أو anamnesis) بل بالأحرى خبرة مقوية للذاكرة وترقيعية بعينها للطبقة السفلية التقنية. ألم يكن في هذه اللحظة بالذات، وقد كتبت شيئاً ما أو آخر على الشاشة، هذه الحروف الباقية كما لو أنها معلقة وطافية حتى الآن على سطح عنصر سائل أنني قد كبست مفتاحاً بعينه لـــ "أحفظ" نصاً سليماً، بطريقة محكمة، دائمة، لحماية العلاقات من المحو، لكي أضمن بذلك الخلاص والأمان، لكي أختزن، لكي أُراكم و، بما هو بآن معاً الشيء نفسه وشيئاً آخر، لجعل الجملة متاحة بذلك للطبع ولإعادة الطبع، لأجل النسخ؟ هل يغير ذلك أن فرويد لم يكن يعرف شيئاً عن الحاسوب؟ وأين ينبغي أن تكون لحظة القمع أو الكبت متوضعة في هذه الأنماط الجديدة من التسجيل والانطباع، أو الطبع.

هذا التكثيف للمعاني الثلاثة لكلمة "انطباع" كان قادراً ليس فقط على أن ينطبع بذاته بشحطة واحدة، ظاهرياً في لحظة بلا أمد duration، بعد عمل كثير، مع أنه ربما يكون عملاً متقطعاً، بنصوص فرويد، بعدد معين من كتاباته، بل أيضاً بثيمات (موضوعات)، بمجازات، بمخططات مفاهيمية مألوفة لي

إلى درجة الهوس ومع ذلك ليست أقل سرية، ولا أقل حداثة وتبقى هي القادمة بالنسبة لي: بذلك أكتب، الأثر، النقش، على طبقة سفلية برانية أو ما يدعى الجسم تحديداً، بوصفه، على سبيل المثال، وهذا ليس بالتحديد أي مثال، بالنسبة لي، الأرشيف المتفرد والمغرق في القدم المسمى **ختاناً**، والذي، مع انه لا يبرحك أبداً، لا داعي للقول أنه قد حدث، وهو ليس أقل برانية، إنه براني تماماً على جسمك مباشرة.

إذاً، ما هي هذه المعاني الثلاثة التي تكثفت، في لحظة واحدة، وانطبعت الواحد فوق الآخر، أي أنها قد تداخلت حدودها بعضها فوق بعض، في كلمة "انطباع" وعبارة "انطباع فرويدي"؟ وفوق كل ذلك، بالطبع، في علاقتها بذاك الإنتاج القابل للنسخ، القابل للتكرار، والحافظ للذاكرة، بذاك التخزين القابل للموضعة objectivizable الذي يسمى الأرشيف؟

1) الانطباع الأول كتابي أو طباعي: أي انطباع نقش (Niederschrift كما يقول فرويد في مؤلفاته) يترك علامة على السطح أو في سماكة من طبقة سفلية. وبأي حال من الأحوال، بشكل مباشر أو غير مباشر، فإن هذا المفهوم ــ أو بالأحرى هذا المجاز للطبقة السفلية ــ هو الذي يحدد المصدر الأساسي المباشر لمشكلتنا، مشكلة الأساس. هل يمكن للمرء أن يتخيل أرشيفاً بلا أساس، بلا طبقة سفلية، بلا قوام، بلا مرتسم subjectile ؟ وبفرض ذلك مستحيلاً، ماذا عن تاريخ الطبقات السفلية؟ ماذا عن مستقبل الطبقة السفلية في علاقتها بتاريخ

التحليل النفسي؟ من **المسودات** / إلى /**ما وراء مبدأ اللذة**/، إلى المختمة السرية وما بعدها، لا يوجد حد لإشكالية الانطباع، أي إشكالية النقش الذي يترك علامة على الطبقة السفلية تحديداً. عندئذ تصبح هذه الطبقة السفلية مكاناً للاستيداع، "للنقش"، أو "للتسجيل" كما يقول علم ما وراء النفس بشكل متكرر، ("Niederlassung oder Niederschrift") ("تنصيب" ،"تعيين موضع" أو "تدوين") عندما يستذكر، على سبيل المثال، في اللا وعي ثلاثة أمور على الأقل:

أ) الفرضية الطوبولوجية (المكانية / التضاريسية) للمنظومات السايكولوجية المتعددة (إثنتان أو ثلاث) ــ مما يسمح ــ لذلك ــ بتبرير التفريق بين الذاكرة والأرشيف ــ التي تفسر لماذا تم الكلام عن التحليل النفسي، وبشكل جزئي غير مباشر، بصفته "علم نفس الأعماق" أو "علم النفس القاعي Abyssal" (Tiefenpsychologie) [SE 14: 173].

ب) هذا الموضوع لا علاقة له، في هذه اللحظة، في هذا الوقت، "في الوقت الحاضر" (التشديد هنا من قبل فرويد)، بوجهة النظر التشريحية حول التموضعات المخية. بالتشديد بحروف مائلة على عبارة "في الوقت الحاضر" (Vorl ä ufig) يريد فرويد بوضوح أن يترك متسعاً لأجل ما قد يعلمنا إياه مستقبل العلم حول ذلك.

جـــ) أخيراً، إن هذه الفرضيات ليست سوى، وليست كثر من تمثيلات حدسية (Veranschaulichungen)، "إيضاحات

طباعية" بحسب الترجمة الإنكليزية. إنها "تُظهر" لكي لا تكون أكثر من إيضاحات طباعية" [SE 14: 175].

إن إشكالية الانطباع هذه غير مشجعة للذين قد يتمنون أن يجدوا فيها مدخلاً ممتازاً.لأنه يصبح ملتبساً في مجمل أعمال فرويد، سواءً كانت له علاقة بالذاكرة الجماعية أو الفردية، بالرقابة أو الكبت، بالديناميكي أو بالموضوعاتي topic أو بالاقتصاد، بنظام UCS أو بنظام PCS، بالإدراك، أو بالأثر المذكّر.

مما لا شك فيه أن المجاز الطباعي للمطبعة، للطباعة، أو للدمغة، لأنني كنت قبلئذ قد منحته امتيازاً، في نصوص كثيرة أخرى، قد فرض نفسه علي بهذه السرعة عبر الهاتف مع كلمة "impression" (انطباع). هذه الكلمة تؤسس رأسمالاً على فائدة مزدوجة، قبل كل شيء في بلد ذي ثقافة ناطقة بالإنكليزية. إنها، في المقام الأول، تعيد إحياء قوانين النزعة التجريبية empiricism الإنكليزية: إن مفهومي "الانطباع" المحسوس والنسخ copy يلعبان دوراً كبيراً في أنسابية genealogy الأفكار؛ أليست نسخة الانطباع هي قبلئذ نوع من الأرشيف؟

في المقام الثاني، إن كلمة "انطباع" تذكرنا بأنه لا يوجد نفق في التاريخ من شأنه أن يجمع ترجمتين لكلمة "verdrängung": فكلمة "repression" في الإنكليزية، كما في الإسبانية "تنتمي إلى عائلة كلمة "inpression" نفسها (فالـ verdrängung دائماً يكبت انطباعاً) وكلمة "refoulement" الفرنسية لا تنتمي

إلى العائلة الدلالية لكلمة "impression"، كما هو الحال بالنسبة لكلمة "repression" التي نتحفظ عليها في الفرنسية كترجمة لكلمة (Unterdrückung) التي تترجم غالباً في الإنكليزية، كما في الإسبانية والبرتغالية، بكلمة "suppression" (قمع).

إن رهانات هذا الاختلاف المفاهيمي بين كلمتي **[verdrängung] [Unterdrückung]** ليست محصورة بالمسائل الاسمية للترجمة أو الخطابة أو علم الدلالات، بالرغم من أنها تتركز هناك. إنها تعنى بشكل مباشر ببنى الأرشفة. لأنها تقارب الاختلافات الموضوعاتية topic وبالتالي موقع الطبقات السفلية للآثار المتبقية، تقارب أرضية الاستيداع (Niederschrift) من نظام إلى آخر. خلافاً للكبت verdrängung، الذي يبقى لا شعورياً في عمله وفي نتيجته، فإن القمع unterdrückung يمارس ما يسميها فرويد "رُقابة ثانية" بين الشعور وما قبل الشعور Preconscious ــ أو بالأحرى يمارس التأثير الذي يعني ذاك التأثير الذي لا يمكن كبته أبداً في اللا شعور، بل يمكن فقط قمعه وإزاحته بتأثير آخر.

إنها إحدى المسائل العديدة التي لن نتمكن من معالجتها هنا. فما الذي يتعين على المؤرشفين أو المؤرخين الكلاسيكيين، في ابستمولوجيا [هم]. في تأريخ [هم]، أن يستنتجوه من هذا التفريق بين "repression" و"répression"، بين ["Verdrängung"] و["ünterdrückung"] بين "repression"

و"suppression"؟ إذا كان لهذا التفريق أية صلة بالموضوع، فيكفي أنه سيعكر المشهد الرائق لكل المعرفة التاريخية، لكل التأريخ، وحتى لكل الثقافة القائمة بذاتها. من يمكنه القول أن هذا قد بدأ بالحدوث للتو؟ وحتى بين مؤرخي التحليل النفسي،من هم الذين ينبغي عليهم أن يكونوا السباقين إلى إعادة تفعيل بديهياتهم ومنهجياتهم، حتى مع افتراض أن المفهوم الكلاسيكي للعلم التاريخي والفقه scholarship يظل يقاوم ويلفظ هذه الطفرة دون أن يُمس بأذى؟

2) إن هذا يوجهنا نحو المرادف الثاني لهذه الكلمة، "انطباع". مما لا شك فيه أنه يبدو أقل ضرورية بشكل فوري. "انطباع"، "انطباع فرويدي": مما لا شك فيه أن هذا قد جعل شيئاً ما آخر موضع شعور مسبق. ماذا؟

حسناً، بخصوص الأرشيف، لم ينجح فرويد أبداً في تشكيل أي شيء يستأهل أن يُسمى **مفهوماً** Concept. ولم ننجح نحن، بالمناسبة. إننا لا نملك مفهوماً، لا نملك سوى انطباع، سلسلة من الانطباعات المرتبطة بكلمة. بالنظر إلى قوة **المفهوم**، فإنني أعارض هنا الغموض أو انعدام الدقة المفتوح، اللا حسم النسبي لمثل هذه الفكرة العامة notion. فالـ "أرشيف" ليس سوى "فكرة عامة"، انطباع مرتبط بكلمة. ولا نملك لأجله مفهوماً، مثلنا في ذلك مثل فرويد. إننا نملك انطباعاً فقط، انطباعاً ملحاً، عبر الشعور المتقلقل بمجاز متغير، بمخطط أو بسيرورة لا منتهية أو غير محدودة. خلافاً لما يُغرى الفيلسوف أو الباحث

الكلاسيكي بفعله، فإنني لا أعد هذا الانطباع، أو الفكرة العامة لهذا الانطباع، بمثابة مفهوم فرعي sub – concept، الوهن لمعرفة سابقة ضبابية وذاتية، موجهة لأجل لا أدري أية خطيئة للاسمانية nominalism، بل على العكس من ذلك، سأشرح نفسي لاحقاً، إنني أعده الإمكانية والمستقبل عينه لمفهوم، مفهوم المستقبل عينه، إذا كان ثمة شيء كهذا وإذا، كما أعتقد، كانت فكرة الأرشيف تقوم عليه. هذه هي إحدى الأطروحات. ثمة أسباب جوهرية يظل لأجلها المفهوم في سيرورة تشكيله غير واف، على الدوام، لأجل ما ينبغي أن يكون، مجزّأً، ممزقاً بين قوتين. وهذا التمزق [التخلع] له صلة ببنية الأرشيف.

يترتب على هذا، بالتأكيد، أن التحليل النفسي الفرويدي يطرح نظرية جديدة للأرشيف. إنه يأخذ في الحسبان موضوع topic ودافع الموت الذين لم يكن من الممكن بدونهما أن توجد في الواقع أية رغبة أو إمكانية للأرشيف. ولكن، في الوقت نفسه، لأسباب استراتيجية ولأن شروط الأرشفة تنطوي ضمناً على كافة التوترات أو التناقضات أو المآزق التي نحاول تشكيلها هنا، وبالأخص تلك التي تجعل منها حركة للوعد والمستقبل أكثر مما تجعل منها تسجيلاً للماضي، فإن مفهوم الأرشيف يجب حتماً أن يحمل في ذاته، كما يحمل كل مفهوم، ثقلاً لا تمكن معرفته. إن الافتراض المسبق لهذا الثقل أيضاً يتخذ مجازي "الكبت"و"القمع" حتى لو لم يكن من الممكن اختزاله بالضرورة إلى هذين المجازين.

هذا الافتراض المسبق المزدوج يخلق انطباعاً. إنه ينقش انطباعاً في اللغة وفي الخطاب. إن الثقل الذي لا تمكن معرفته الذي يندفع هكذا لا يزن فقط كشحنة سالبة. إنه يشمل تاريخ المفهوم، يعطف رغبة أو حمى الأرشيف، انفتاحهما على المستقبل، تبعيتهما لما سيأتي، كل ما يربط المعرفة والذاكرة بالوعد.

3) إن "الانطباع الفرويدي" أيضاً له معنى ثالث، ما لم يكن هذا هو الأول: الانطباع المتروك من قبل سيغموند فرويد، بدءاً بالانطباع المتروك فيه، المنقوش فيه، منذ ولادته وميثاقه، منذ ختانه، مروراً بكل التاريخ الظاهر أو المستتر للتحليل النفسي، تاريخ المؤسسة وتاريخ الأعمال، عن طريق المراسلات العلنية والسرية، بما في ذلك هذه الرسالة من ياكوب شلوموه فراید إلى شلوموه سيغموند فرويد في ذكر إشارات أو علامات الميثاق وانتهاءً بإرفاق "الجلد الجديد" للكتاب المقدس. أود أن أتكلم عن الانطباع المتروك من قبل فرويد، عن طريق الحدث الذي يحمل هذا الاسم العائلي، الانطباع الذي لا يُنسى، الذي لا يقبل الجدل، والذي لا يمكن إنكاره تقريباً (حتى وقبل كل شيء بالنسبة لأولئك الذين ينكرونه) الذي خلقه سيغموند فرويد على أي شخص، بعده، يتكلم عنه أو يتكلم إليه، والذي يجب عندئذ، سواء قبل ذلك أم لم يقبل، عرف ذلك أم لم يعرف، أن يكون موسوماً لذلك: في ثقافته [ها] وحقله [ها] المعرفي، مهما قد يكون، وخصوصاً الفلسفة، الطب، الطب النفسي، وبشكل أكثر

تحديداً هنا، لأننا نتكلم عن الذاكرة وعن الأرشيف، تاريخ النصوص وتاريخ الخطابات، التاريخ السياسي، التاريخ القانوني، تاريخ الأفكار أو تاريخ الثقافة، تاريخ الدين والدين نفسه، تاريخ المؤسسات وتاريخ العلوم، بالأخص تاريخ هذا المشروع المؤسسي المدعو بالتحليل النفسي. هذا إذا لم نذكر تاريخ التاريخ، تاريخ التأريخ. في أي حقل معرفي مفترض لا يعود بمقدور المرء، ولا ينبغي أن يعود المرء قادراً على، وبالتالي لا يعود يملك الحق في، أو الوسيلة لأجل، إدعاء الحق في التكلم عن هذا دون أن يكون موسوماً بشكل مسبق، بطريقة أو بأخرى، بهذا الانطباع الفرويدي. من المستحيل ومن غير المشروع أن يقوم بذلك دون أن يكون قد دمج **الانطباع** الفرويدي، بشكل جيد أو سيئ، بطريقة هامة أو غير هامة، اعترف بذلك أم أنكره. إذا كان المرء [واقعاً] تحت الانطباع بأنه من الممكن ألا يأخذ ذلك في الحسبان، ناسياً إياه، طامساً إياه، شاطباً إياه، أو معترضاً عليه، يكون المرء قد أثبت للتو، وبإمكاننا حتى أن نقول إنه قد صادق على (وبالتالي أرشَفَ) "الكبت" أو "القمع".

هذا، إذاً، هو ما سمعته، ربما، دون إصغاء، ما فهمته دون تفهّم. ما أردت بشكل غامض أن أسترق السمع إليه، سامحاً لهذه الكلمات أن تمليه عليّ عبر الهاتف، بـــ "انطباعٍ فرويدي".

مقدمـــة

لذلك فإن انطباعنا هو أنه لم يعد بمقدورنا أن نطرح مسألة المفهوم، مسألة تاريخ المفهوم، وخصوصاً مفهوم الأرشيف. لم يعد، على الأقل، في شكل زمني أو تاريخي يحكمه الحاضر أو الماضي. لم نعد نشعر أننا نملك الحق في طرح أسئلة من نافلة القول أن شكلها وقواعدها [نحوها] ومعجمها [مفرداتها] تبدو شرعية للغاية، وحيادية للغاية أحياناً. لم نعد نجد معنى مؤكداً في أسئلة كهذه: هل كنا نملك قبل الآن تحت تصرفنا مفهوماً للأرشيف؟ مفهوماً للأرشيف يستحق هذا الاسم؟ مفهوماً واحداً ذا وحدة مؤكدة؟ هل سبق أن تأكد لنا التجانس والتساوق والعلاقة الأحادية المعنى لأي مفهوم بمصطلح أو بكلمة مثل كلمة "أرشيف"؟

هذه الأسئلة، في شكلها وفي نحوها، محوّلة كلها نحو الماضي: إنها تسأل إذا كنا **قبلئذ** نملك تحت تصرفنا مفهوماً كهذا وإذا سبق لنا أن ملكنا أي تأكيد بهذا الخصوص. فامتلاك

مفهوم تحت التصرف، وامتلاك تأكيدات بخصوصه، إنما يفترض مسبقاً وجود إرث مغلق وضمانة تكون محكمة الإغلاق [مختومة]، بمعنى ما، عن طريق هذا الإرث. والكلمة والفكرة العامة للأرشيف، للوهلة الأولى، على نحو لا يمكن إنكاره، هما أنهما تشيران إلى الماضي، تحيلان إلى إشارات الذاكرة المودَعة، تستذكران الوفاء للتراث. لو حاولنا أن نؤكد على الماضي في هذه الأسئلة منذ البداية، فمعنى ذلك أيضاً أن نشير إلى إشكالية أخرى. بقدر وأكثر من شيء من الماضي، قبل شيء كهذا، ينبغي على الأرشيف أن يشكك في مجيء المستقبل. وإذا كنا لا نزال نملك مفهوماً مفترضاً للأرشيف قابلاً للحياة، وموحداً، فمما لا شك فيه أن ذلك ليس بسبب وجود قصور مفاهيمي ونظري وابستمولوجي (معرفي) محض على مستوى الحقول المعرفية المتعددة والمحددة؛ ربما لا يُعزى إلى انعدام الإيضاح الكافي في بعض المجالات المحدودة: الأركيولوجيا (علم الآثار)، التوثيق، الببيلوغرافيا، الفيلولوجيا [فقه اللغة]، التأريخ.

دعونا نتخيل في الواقع مشروعاً لعلم أرشيف archiviology عام، وهي كلمة لا وجود لها، ولكنها يمكن أن تدل على علم عام متداخل الحقول المعرفية interdisciplinary للأرشيف. إن مثل هذا الحقل المعرفي يجب في الواقع أن يخاطر بأن يكون مشلولاً بفعل وقوعه في مأزق أولي حرج، إذ سيتعين عليه إما:

(1) أن يشمل التحليل النفسي، المشروع العلمي الذي يريد، كما يمكن للمرء أن يبين بسهولة، أن يكون علماً عاماً للأرشيف، لكل شيء يمكن أن يحدث لاقتصاد الذاكرة ولطبقاتها السفلية، لآثارها [الباقية]، لوثائقها، بأشكالها النفسية المفترضة أو البدائلية التقنية (داخلية أو خارجية: المختمات السرية للماضي أو للمستقبل، ما يمثلها وما يتممها).

(2) أو، على العكس من ذلك، أن يضع نفسه تحت السلطة **النقدية** critical (بالمعنى الكانطي) للتحليل النفسي، أن يستمر في مناقشته، بالطبع، ولكن بعد أن يكون قد استكمل منطقه، مفاهيمه، علم ما وراء نفس (ـــه)، اقتصاده، موضوعه، الخ، كما يكررها فرويد مرة أخرى بهذا الترتيب الدقيق في الجزء الثالث من كتابه /**موسى والتوحيد**/ عندما عالج في النهاية "الصعوبات"، المشاكل الأرشيفية للسرد الشفهي والملكية العامة، للآثار التذكيرية، للإرث القديم والمتناقل عبر الأجيال، ولكل شيء يمكن أن يحدث لـــ "الانطباع" في هذه السيرورات "الموضوعاتية" topisch و"الوراثية / الجينية" genetisch بآن معاً. يكرر هنا أن هذا الموضوع topic لا علاقة له بتشريح الدماغ، وهذا يكفي لتعقيد البعد التاريخعرقي phylogenetic الذي يحكم عليه بأنه غير قابل للاختزال في الواقع، ولكنه يبتعد عن تبسيطه في مخططاته اللاماركية (غالباً ما يتهمه بذلك بيروشالمي أيضاً)، أو حتى في مخططاته الداروينية. إن الالتزام بالعقيدة البيولوجية للصفات المكتسبة ـــ للأرشيف البيولوجي،

في المحصلة ــ لا يمكن جعله يتفق بطريقة بسيطة ومباشرة مع كل ما يعترف به فرويد خلافاً لذلك: ذاكرة خبرة الأجيال السابقة، زمن تشكل اللغات وتشكل الرمزية symbolicity التي تتجاوز اللغات المفترضة وتتجاوز الاستطرادية في حد ذاتها. إن فرويد أكثر حذراً: فهو يعرف ويعترف صراحة بالــ "الموقف الحالي للعلم البيولوجي، الذي يرفض الإصغاء إلى وراثة الصفات المكتسبة عن طريق الأجيال القادمة" [موسى والتوحيد][5] وإذا كان يعترف بأنه من الصعب عليه أن يستغني عن الإشارة إلى التطور البيولوجي (ومن كان بمقدوره بشكل جدي أن يلومه على ذلك، في المبدأ وفي المطلق؟ باسم ماذا؟)، فإنه يكشف عن نفسه بهذا الخصوص بصفته أكثر تحفظاً وأكثر حذراً مما يُعترف به عادة، بأن يفرق على وجه الخصوص بين الصفات المكتسبة ("التي يصعب فهمها") وبين "الآثار الباقية في الذاكرة من الأحداث الخارجية". هذه الصفات وهذه الآثار الباقية يمكن أن تتبع مراحل لغوية [ألسنية]، ثقافية، قابلة للترميز [التشفير] (لم يقل فرويد ذلك بهذا الشكل بالتأكيد)، وتتبع بشكل عام مراحل عبر أجيالية trans – generational وعبر فردية trans – individual مشفرة، معقدة تماماً، متنقلة بذلك عبر أرشيف لا يكون علمه في حالة جمود. إن هذا لا يعيدنا بالضرورة إلى لامارك أو إلى داروين، حتى لو أرغمنا ذلك على الإفصاح عن تاريخ البرامج والشيفرات الوراثية الموجودة على كافة الأرشيفات الرمزية والفردية بشكل مختلف. إن كل

ما يقوله فرويد هو أننا متلقون لتشابه جزئي بين نوعي الذاكرة العابرة للأجيال أو الأرشيف (ذاكرة الخبرة السلفية أو ما تدعى بالصفة المكتسبة بيولوجياً) وأننا "لا نستطيع أن نتخيل [verstellen] واحداً دون الآخر".

بدون القوة أو السلطة المتعذر كبحها، أي التي لا يمكن سوى قمعها وكبتها، قوة أو سلطة هذه الذاكرة العابرة للأجيال، فإن المشاكل التي نتكلم عنها سوف تُبدد وتحل سلفاً. لن يعود هناك أي تاريخ جوهري للثقافة، لن تعود هناك مسألة ذاكرة ومسألة أرشيف، أرشيف أبوي patriachive أم أرشيف أمومي matriarchive، ولن يعود المرء يفهم حتى كيف يمكن للسلف أن يتكلم بداخلنا، ولا ما هو الإحساس الذي يمكن أن يكون لدينا لنتكلم إليه أو إليها، لنتكلم بمثل هذه الطريقة الـ ["unheimlich"] الـ "غريبة" uncanny، إلى شبحه وشبحها، معه.

لقد واجهنا قبل الآن هذا البديل، وسنعود إليه مرة أخرى: هل يجب على المرء أن ينكب على ما تم تعريفه مسبقاً بوصفه الأرشيف الفرويدي أو التحليلي ـ النفسي في المخططات العامة للقراءة، للتفسير، للتصنيف التي تم تلقيها وإعكاسها خارج هذا الجسد الذي تكون وحدته مفترضة بموجب ذلك سلفاً؟ أو بالأحرى، هل يمتلك المرء، في المقابل، الحق في التعامل مع الأرشيف التحليلي النفسي الفرويدي المذكور وفقاً لمنطق ما أو منهج ما، تأريخ ما أو تأويل ما مستقل عن التحليل النفسي

الفرويدي، سابق بالفعل حتى لاسم فرويد نفسه، فيما يفترض مسبقاً بطريقة أخرى خاتمة وهوية هذا الاسم؟ إن هذا الاستقلال يمكن أن يتخذ أشكالاً عديدة، قبل ــ أو بعد تحليلنفسية، مع أو بدون مشروع واضح: استكمال وتشكيل ما دعوناه منذ دقيقة الانطباع الفرويدي. هذه خبرة مألوفة لعدد من الذين يشاركون في هذا المؤتمر أو الذين يتشاطرون هذا الهم، وليس فقط هنا أو هناك، لمعظم المؤرخين البارزين للتحليل النفسي.

بمعنى ملغز ربما لن ينجلي (ربما، لا شيء ينبغي أن يكون أكيداً هنا، لأسباب جوهرية)، فإن مسألة الأرشيف، مرة أخرى، ليست مسألة الماضي. هذه ليست مسألة مفهوم يتعامل مع الماضي الذي كان من الممكن **قبل الآن** أن يكون تحت تصرفنا أو ليس تحت تصرفنا، مفهوماً للأرشيف قابلاً للأرشفة. إنها مسألة المستقبل، مسألة المستقبل ذاته، مسألة استجابة، مسألة وعد ومسألة مسؤولية للغد.

الأرشيف: إذا أردنا أن نعرف ما الذي كان يعنيه قبل الآن، فلن نعرف إلا في الأزمنة القادمة. ربما ليس غداً بل في الأزمنة القادمة، فيما بعد أو ربما لن نعرف أبداً. إن المسيحانية الطيفية تعمل عملها في مفهوم الأرشيف وتربطه، مثل الدين، مثل التاريخ، مثل العلم نفسه، بالخبرة الفردية جداً للوعد. ونحن لسنا بعيدين أبداً عن فرويد في قول ذلك. فالمسيحانية messianicity لا تعني المسيحوية messianism كما شرحت ذلك في مكان آخر، في "**أطياف ماركس**" وحتى لو بقي هذا

التفريق هشاً وملغزاً، فاسمحوا لي أن أتعامل معه كما لو أنه مبرهَن، توفيراً للوقت.

فيما بعد، ينبغي علينا، ربما، أن نصوغ المفهوم والقانون الصوري لهذه الفرضية المسيحانية. في الوقت الحالي، اسمحوا لي أن أوضحها، فيما أثير مرة أخرى إحدى اللحظات الأكثر إثارة للدهشة في المشهد، إذا جاز لي قول ذلك أمامه. الذي يمثله بيروشالمي مع فرويد، في نهاية هذا الكتاب في ما يدعوه "مونولوجـــ [ـــه] مع فرويد". لابد أن نصل إلى اللحظة التي يبدو فيها أن بيروشالمي يفصل كل شيء وخصوصاً كل ما كان قد قاله وفعله حتى هذه النقطة، عن الخط الناظم لجملة متميزة. قد يُغرى المرء باعتبار هذا الخيط بمثابة الحبل السري للكتاب. فكل شيء يبدو مفصولاً عن هذا الحبل السري ـــ عن طريق الحبل السري للحدث الذي يمثله كتاب كهذا. لأنه على الصفحة الأخيرة من عمل مكرس كلياً للذاكرة وللأرشيف، [ثمة] جملة تقول المستقبل. إنها تقول، بصيغة المستقبل: "إن الكثير سيتوقف، بالطبع، على كيفية تعريف مصطلحي يهودي Jewish وعلم Science-تحديداً" [100].

إن هذه الجملة قد اتبعت تلميحاً إلى "عمل مستقبلي كثير" وزادت من انفتاح هذا المستقبل، مضخمة إياه، وفقاً لذلك، المستقبل الذي ظلت فيه إمكانية المعرفة معلقة تحديداً في الزمن الشرطي: //أستاذ فرويد، عند هذه النقطة أجد أنه من غير المجدي أن نسأل ما إذا كان التحليل النفسي، من الناحية الوراثية

أو البنيوية، هو حقاً علم يهودي؛ هذا ما لن نعرفه، إن كان قابلاً للمعرفة بالمرة، إلا عندما يتم إنجاز الكثير من العمل في المستقبل. سيتوقف الكثير، بالطبع، على الكيفية التي يتم بها تعريف مصطلحي (يهودي) و(علم) تحديداً// [100، التشديد من عندي].

هذه انعطافة درامية، خبطة مسرحية، انقلاب مسرحي Coup de théâter ضمن انقلاب مسرحي. في لحظة تشوش الترتيب الخطي للمضارعات فإن انقلاباً مسرحياً ثانياً يضيء الأول. إنها أيضاً صاعقة حب **a coup de foudre** (حب وتحول)، من شأنها، في ومضة، أن تشل بالضوء ذاكرة الأولى. بضوء **آخر**. لا يعود المرء يعرف جيداً ما هو الزمن، أي صيغة زمنية tense لهذا المسرح ستكون قد انقضت، الخبطة الأولى للمسرح، الخبطة الأولى، الأولى. العهد الأول. يبقى سؤال الأرشيف هو نفسه: ما الذي يأتي أولاً؟ لا بل حتى بشكل أفضل، من الذي يأتي أولاً؟ وثانياً؟

في نهاية الفصل السابق، الانقلاب المسرحي الأول يتضمن "حدثاً حاسماً" و"نصاً معترفاً به": لقد أسس بيروشالمي الأرشيف فوق العادي الذي نقشناه في الحاشية. وقد أعطى قراءه النسخة الفريدة المعطاة، ولكن قبل كل شيء المعادة، من قبل البطريرك الأول، من ياكوب إلى سيغموند، حتى حينه، على الطبقة السفلية من "جلده الجديد". المذكّر المجازي بالختان، الانطباع المتروك على جسده من قبل أرشيف ميثاق غير متساوق، بدون عقد،

أرشيف ميثاق تابع، اشترك به سيغموند شلوموه حتى قبل أن يعرف كيف يوقّع اسمه ــ أقله بكثير كيف يصدّق على توقيعه. في السماكة عديمة القرار لهذا النقش **em abyme**، في لحظة الحدث الأركيو ــ نومولوجي، تحت الجلد الجديد لكتاب يودع الجلد الجديد، مجروحاً ومباركاً، لمولود جديد، هناك كانت تترجع قبلئذ الكلمات المعدَّة للمولود الجديد لله يتكلم إليه بها ("بداخلك") حتى قبل أن يتمكن من النطق: "امضِ، اقرأ كتابي الذي كتبتُ".

إن ييروشالمي، بدوره، يقصد، بإعطائنا هذا الأرشيف لنقرأه، بعرضه علينا في سياق فك للرموز ينم عن براعة، أن يعطي أقل مما يقصد أن يعيد. إنه يتصرف بشكل يشبه قليلاً ياكوب الذي لا يعطي سيغموند كتابه [توراته] بل، بالأحرى، يعيده إليه، يرده إليه. بإعطائنا هذه الوثيقة لنقرأها، فإن هذا الفقيه الحقيقي يريد أيضاً أن يعيد إلى فرويد فحولته، مقدرته الخاصة على تلقي وبالتالي قراءة النقش العبراني. يريده قبل كل شيء أن يجعله يعترف به. لأن فرويد، وهذا هو الهدف المعلن لتظاهر ييروشالمي، لابد أن يكون قد عرف، منذ سن الشباب، كيف يقرأ الإهداء. ينبغي عليه، بالنتيجة، أن يكون قد اعترف بالانتماء، جاعلاً بذلك ثقافته العبرية علنية أو اكثر وضوحاً مما كانت عليه. لقد استذكر ييروشالمي كل إنكارات فرويد حول هذا الموضوع، بخصوص عائلته أو فيما يختص به ذاته (يا كل المستنيرين Aufklärer الأحرار! يا كل الفولتيريين! ويا من

احتفظتم بقليل من الثقافة اليهودية!) مثل والد فرويد، يريد الباحث أن يعيد سيغموند شلوموه إلى الميثاق عن طريق ترسيخ، لنقل، عن طريق استعادة الميثاق. يكرر الفقيه، بطريقة ما، إيماءة الأب. إنه يستذكر أو يكرر الميثاق، حتى لو كان بإمكان هذا الواحد أو الآخر فقط أن يقوم به مجازاً، بالطبع.

بعد الانقلاب المسرحي، ثمة انقلاب ثان: في اللحظة التي يخاطب فيها البروفيسور بيروشالمي، الذي يتصف بموثوقية الفقيه التي لا تقبل الجدل، ولكن في موقع أكثر بنوية Filial ظاهرياً، أو يتظاهر بالأحرى بأنه يخاطب البروفيسور فرويد مباشرة، أو أنه في الحقيقة يخاطب شبح فرويد. إن كون الموقع، إذاً، أكثر بنوية، أي يظهر حب واحترام الابن، لا يتناقض بأي شكل من الأشكال مع تكرار الإيماءة الأبوية. من الممكن تماماً أن يؤكد ذلك ويعيد إطلاقه en a byme. عندما يخاطب فقيه شبحاً فإن هذا يعيد إلى الأذهان بشكل لا يقاوم افتتاحية مسرحية **هاملت**. عند الظهور الطيفي للأب الميت، يناشد مارسيلوس هوراشيو قائلاً: "أنت فقيه يا هوراشيو. خاطبه".

لقد حاولت أن أبين في مكان آخر أنه على الرغم من أن الفقيه التقليدي لم يكن يؤمن بالأشباح، ولم يكن يعرف في الحقيقة كيف يخاطبهم، محظراً ذلك حتى على نفسه، فمن المحتمل تماماً أن مارسيلوس قد استبق مجيء فقيه المستقبل، مجيء فقيه سوف يجرؤ، في المستقبل ولكي يتصور المستقبل، على مخاطبة الشبح، فقيه سيجرؤ على الاعتراف بأنه يعرف

كيف يتكلم **إلى** الشبح، حتى بزعم أنه لا يفعل ذلك فحسب ولا حتى يتناقض مع فقهه أو يحد مّنه، بل إنه في الحقيقة سيكون قد تحكم به، في مقابل بعض التعقيد الذي يبقى غير قابل للتصور، الذي يمكن مع ذلك أن يبرهن أن الآخر، أي الشبح، هو **صحيح**، وربما، دائماً، الشبح الأبوي، أي الذي يكون في موقع [يؤهله] لأن يكون **صحيحاً**، لأنه يبرهن على أنه **صحيح** ــ وأن له الكلمة الأخيرة.

"العزيز والأسمى منزلة البروفيسور فرويد" هكذا يبدأ هذه الرسالة. رسالة بنوية، شديدة البنوية، ومحترمة، حقاً، ولكنها الأكثر مرارة، الأكثر سخرية، الأكثر قسوة من حيث التوبيخ، ويمكن للمرء أن يقول إنها الأكثر إجرامية في المراوغة، لو أن الآخر لم يكن ميتاً، وبالتالي يتعذر الوصول إليه بشكل مطلق في قابليته للعطب، الكلية القوة. هذه الصفحات الثلاثون ونيف لا يتعين فقط أن تصنّف بمثابة تخييل Fiction، وهو ما كان قبلئذ **قطيعة** مع اللغة التي هيمنت حتى هذه النقطة من الكتاب، أي، خطاب الفقه، خطاب المؤرخ، خطاب الفقيه، خطاب خبير في تاريخ اليهودية، خطاب فقيه توراتي، كما يقولون، يزعم أنه يتكلم بكل موضوعية في حين يستند إلى أرشيفات قديمة أو جديدة ــ وهذه الثروة من المستجدات يجب أن تكون لها علاقة على وجه الخصوص بحقيقة أن بعض هذه الوثائق، التي هي حتى الآن مرئية بالكاد أو متعذر بلوغها، سرية أو خصوصية، قد فُسرت مجدداً، تُرجمت مجدداً، أضيئت مجدداً من وجهتي

نظر تاريخية أو فقهية. لا، فهذا التخييل يمتلك أصالة أخرى تسم تخييلية "المونولوج" كما لو en abyme: المناجاة موجَّهة إلى كاتب ميت، موضوع المؤرخ وقد أصبح ذاتاً طيفية، المخاطَب الافتراضي أو المحاور لنوع من الرسالة المفتوحة. ظاهرة أرشيفية أخرى. إن هذه المناجاة، في تخييلها تحديداً، تغني الجسد الذي تزعم أنها تتعامل معه لكنها تتضخم وتصبح في الواقع جزءاً منه من الآن فصاعداً. في نهاية نقاش مكثف مع الشبح، بحسب القواعد المتداخلة للتحليل النفسي والتلمود "بروح الديداخ" ينتهي موقّع الكتاب والرسالة إلى استنطاق طيف فرويد.

سوف نأتي على ذلك. في الوقت الحالي، نقول الـــ "كتاب" والـــ "رسالة" لأنه إذا كانت الرسالة في الظاهر جزءاً من الكتاب، إذا كان هذا "المونولوج مع فرويد" يشبه فصلاً أخيراً من الكتاب، فيمكن للمرء أيضاً أن يلاحظ خصوصيتين بنويتين أخريين في علاقته بالكتاب الذي يحتويه بداخله وفقاً للعرف التحريري editorial لأرشفته الببليوغرافية.

أولاً: إن هذا "المونولوج" التخييلي مغاير للكتاب، في منزلته، في مشروعه، في شكله؛ ولذلك فإن المرء يربط في الحقيقة هذا التخييل بنفس الكتاب الموقّع من قبل المؤلف نفسه عن طريق التخييل القضائي البحت، ويصنفه تحت السنن "العلمية" الثمان (لا تخييلي: لا شعري ولا روائي ولا أدبي) في المصنف الببليوغرافي الذي توجد كل فئاته الكلاسيكية في بداية العمل.

ثانياً: إن هذا التعقيب postscript على الأصناف يحدد بشكل استرجاعي ما يسبقه. إنه يفعل ذلك بطريقة حاسمة، واسماً إياه، في الواقع، باللا حسم الجوهري، أي الانفتاح السُري umbilical للمستقبل الذي يجعل كلمتي "يهودي" و"علم" غامضتين في الحد الأدنى ــ أو بأي حال من الأحوال يضيف غموضاً إلى غموضهما. هكذا يمكن للمرء أن يقول أيضاً أن الكتاب برمته يتم تضمينه [احتواؤه] سلفاً، كما لو أنه يُحمل، يُجرف، يبتلع من قبل العنصر السحيق "للمونولوج" الذي يشكل بالنسبة له نوعاً من المقدمة الطويلة، توطئة، تمهيداً، أو تقديماً. إن العنوان الحقيقي للكتاب، العنوان الأكثر ملاءمة، حقيقته، سيكون في الواقع: "مونولوج مع فرويد". دعونا نلاحظ ذلك على الأقل في وصف الأرشيف: لنستذكر أنه لم يكن من الممكن وجود أرشفة بدون عناوين (وبالتالي بدون أسماء وبدون المبدأ الأرخوني للتشريع، بدون قوانين، بدون قرائن التصنيف وبدون التراتبية، بدون النظام وبدون الترتيب order بالمعنى المزدوج لهذه الكلمة). في خضم هذا النقاش وجهاً لوجه، ولكن بوجود القارئ نكون نحن (أو الله يعرف من) بمثابة طرف ثالث، terstis أو شاهد، لا يعود فرويد يُعتبر شخصاً ثالثاً ممثّلاً بأعماله المكتوبة (الكتابات العلنية والسرية، السريرية، النظرية أو السيروية الذاتية، المؤسسية أو خلافها، التحليلنفسية والسياسية العلمية أو "الروائية") لأن كتاب بيروشالمي في مجمله يدور حول كتاب [كتبه] فرويد أراد هو نفسه أن يقدمه كرواية، إنه

كتاب:"Der Mann Moses, ein historischer Roman" **(موسى الإنسان ــ رواية تاريخية)** في حين أنه يهدف إلى مفهوم جديد للحقيقة، أي باسم "الحقيقة التاريخية" حقيقة يجد الفقه، والتأريخ، وربما الفلسفة شيئاً من الصعوبة في الخوض فيها). هكذا، فإن فرويد لا يعود مطلوباً بمثابة شاهد في الشخص الثالث (terstis)، يجد نفسه مطلوباً للشهادة كشخص ثان. إن الإيماءة التي تتعارض من حيث المبدأ مع معايير الخطاب العلمي الكلاسيكي، خصوصاً مع معايير التاريخ أو فقه اللغة (الفيلولوجيا) التي وجهت الكتاب نفسه حتى هذه النقطة. بالإضافة إلى ذلك، فإن موقع هذه الرسالة المونولوجية يقترح فجأة على هذا الشخص الثاني الذي يخاطب أولاً بصفته "أنت" وليس "هو"، وأن يتكلم بلغة "نحن". وكما يعترف أن هذا الآخر لا يمتلك حقاً أصيلاً بالإجابة، فإنه يجيب بالنيابة عنه: "فيما هو موضع خلاف هنا، فقد كان بالفعل هكذا.. إننا نمتلك، كلانا، كيهوديين، رهاناً متساوياً. لذلك، ففي الكلام عن اليهود لن أقول "هم" بل سأقول "نحن". إن هذا التفريق مألوف بالنسبة لكم" [81].

لا يمكن لفرويد، لأنه ميت بالتعريف وبالتالي فهو عاجز عن الرد، سوى الإذعان. لا يمكنه أن يرفض هذا الاتفاق Community المفترض والمفروض بأن معاً. يمكنه فقط أن يقول "نعم" لهذا الميثاق الذي يجب أن يدخله مرة أخرى لأنه سيكون قد دخله، قبلئذ، قبل ولادته بسبعة أو ثمانية أيام. بعد

إجراء كل التعديلات الضرورية، في هذه الحالة من التنافر المطلق والتغاير يجدُ الابن نفسه لدى ختانه بعد اليوم السابع وقد أُدخل في الميثاق في اللحظة التي يكون من غير الوارد فيها أن يستجيب أو يوقع أو يصادق على توقيعه. هنا مرة أخرى، وقد ترك الأرشيف علامة في جسده مرة واحدة، يسمع فرويد نفسه وهو يُستدعى إلى الميثاق غير القابل للإتلاف الذي يكفله هذا الأداء الاستثنائي: (دعونا نلاحظ ذلك على الأقل بين معترضتين: إن عنف هذا اللا تساوق **الجماعي** Communal يبقى في الوقت نفسه استثنائياً الأكثر عمومية بالتحديد. إن أصل **العمومي** الذي يحدث في كل مرة نخاطب فيها أحداً، في كل مرة نناديهم فيما نحن **نفترض**، أي في حين أننا **نفرض** "نحن" وبالتالي ننقش الشخص الآخر في هذا الموضع للرضيع الطيفي والبطريركي بآن معاً).

كل شيء يحدث هنا كما لو أن بيروشالمي قد قرر، بدوره، أن يختن فرويد، كما لو أنه شعر بالتزام لم يحن بعد (سأقول "نحن") بأن يعيد ختانه مجازياً بما يؤكد الميثاق، كما لو أنه شعر أن من الواجب، في الحقيقة، أن يكرر ايماءة ياكوب فرويد عندما ذكّر شلوموه، في نقش خارج وداخل الكتاب بآن معاً، على **الكتاب** تماماً، في melitzah، "في سابع أيام عمرك بدأت روح الرب تحركك وتكلمت بداخلك: امضِ، اقرأ في كتابي الذي كتبت..." [71]. (الذاكرة بدون ذكرى لعلامة تعود في كل مكان، ينبغي أن نجادل حولها مع فرويد، بخصوص بياناته

السريعة الكثيرة حول هذا الموضوع. إنه بشكل جلي سؤال الأرشيف المتفرد المسمى "ختان". بالرغم من أنه يتكلم عن ذلك هنا وهناك من وجهة نظر فرويد أو من وجهة نظر أرنست جونز Jones، فإن بيروشالمي لا يضع هذه العلامة، على الأقل بحرفيتها، في المركز من كتابه[6] ــ ولغز الختان، خصوصاً في الحرب الكبيرة بين اليهودية والمسيحية، هو في غالبيته لغز حرفيته ولغز كل ما يتوقف على ذلك. بالرغم من أنني أعتقد أن هذه المسألة غير قابلة للاختزال، بالأخص في إعادة قراءة فرويد، غير قابلة للاختزال خصوصاً إلى مسألة خصاء، فيجب أن أضعها جانباً هنا، ليس بلا شيء من الأسف، بالتوازي مع مسألة التمائم (الحجابات)،أرشيفات الجلد، أو أرشيفات الرَّق المغطاة بالكتابة التي يحملها الرجال اليهود، هنا أيضاً، وليس النساء اليهوديات، ملاصقة تماماً للجسد، على الذراع أو على الجبهة: على الجسم تماماً [ā même le corps]، مثل إشارة الختان، ولكن مع كونها ــ على ــ تماماً [etre - â - même] الذي لا يستبعد هذه المرة فصل وفك رباط، الطبقة السفلية والنص بآن معاً).

في هذا المشهد البنوي filial المتعمَّد، الذي يمثله بيروشالمي مع بطريرك التحليل النفسي، تُطلق المناجاة من موقع الابن، موقع أبي الأب الميت. الآخر يتكلم. هكذا غالباً في المشاهد التي تضم الابن مع الأب. الكلام يرتد إلى الجد. الكلام **يعود**، بالفرنسية La parole revient: كفعل كلام وكحق في الكلام.

لماذا هذا المونولوج من الواضح أنه ليس مونولوجاً أو نجوى؟ هل لأنه يلعب على مفارقة تقديم نفسه بوصفه "مونولوجاً مع ....."؟ هل لأن أكثر من شخص واحد يتكلم؟ بلا شك، ولكن هناك ما هو أكثر من العدد، هناك الترتيب Order. لأنه لو لم يكن موقّع المونولوج لوحده في التوقيع، بعيداً عن ذلك، لكان قبل كل شيء هو **أول** من يفعل ذلك. إنه يتكلم من موقع الآخر، إنه يحمل في نفسه. هذا الناطق، يحمل الصوت الذي كان من الممكن أن يكون صوت ياكوب فرويد، أعني البطريرك الأكبر للتحليل النفسي. وهكذا، باسم ياكوب، صوت كبار البطاركة في التاريخ، في التاريخ اليهودي خصوصاً، الذين لا ينقشون أبناءهم، مثلاً، في الميثاق في لحظة الختان فحسب، ويفعلون ذلك اكثر من مرة، حرفياً أو مجازياً بل إنهم أيضاً لا يكفون عن التفاجؤ ويظلون متشككين حول إمكانية أن تتمكن البنت من التكلم باسمها الخاص.

لقد ألمحت للتو إلى الطلب الأخير الذي يوجهه موقّع هذا المونولوج، دون أن يلقى رداً، إلى شبح فرويد. هذا الطلب يكون محمولاً في سؤال؛ إذ يجب علينا أن نميز أحدهما عن الآخر هنا، فالطلب يسأل حول موضوع آنا Anna فرويد "أنتيغونتك"، يقول ييروشالمي بالمناسبة، ييروشالمي الذي يكون من الواضح أنه، بذلك، يُماهي فرويد، شبحه، بأوديب، يظن ــ ربما ــ أن ذلك سيكون كافياً لإزالة الصفة الأوديبية deoedipalize عن علاقته بفرويد، كما لو أنه لم تكن توجد

إمكانية أبداً لأن يصبح أوديب أوديباً. في عام 1977، دُعيت آنا فرويد من قبل الجامعة العبرية بالقدس لتدشين إحداث كرسي جامعي يحمل اسم أبيها ــ المتوفي منذ زمن طويل. ونظراً لعدم تمكنها من الذهاب ــ هي أيضاً ــ ترسل، هي أيضاً، بياناً مكتوباً. في هذه الوثيقة ــ الأرشيف الأخرى التي يستثمرها بيروشالمي بلهفة، تصرح آنا، من بين أشياء أخرى، أن التهمة الموجهة إلى التحليل النفسي بأنه "علم يهودي" في ظل الظروف الراهنة، يمكن أن تفيد كلقب شرف" [100].

يسأل بيروشالمي نفسه ما إذا كانت هذه الجملة **المكتوبة** من قبل آنا هي فعلاً **موقعة** من قبل آنا. بسؤاله هذا يسأل محاوره الطيفي (يسأل نفسه (عن) طيفه الذي سيكون أولاً قد سأل نفسه هذا) إنْ كانت ابنته قد تكلمت باسمها الخاص: كما لو أنه يشك في أن ابنة، هيَ قبل كل شيء ابنة فرويد، يمكنها أن تتكلم باسمها الخاص. بعد حوالي خمس وثلاثين عاماً من موت الأب، وقبل كل شيء كما لو أنه يتمنى، وإن يكن سراً (سراً يقول أنه يريد الاحتفاظ به، أي أن يتقاسمه مع فرويد، أن يكون وحيداً في تقاسمه مع فرويد)، أن تكون قد تكلمت دائماً باسم أبيها، باسم الأب: //في الحقيقة، سأحصر نفسي حتى أكثر من ذلك، وسأرضى لو تجيب على سؤال واحد فقط: عندما حملت ابنتك تلك الكلمات إلى المؤتمر المنعقد في القدس، هل كانت ستتكلم باسمك؟ أرجوك، أخبريني أيتها البروفسورة، وأنا أعد بأن لا أكشف عن جوابك لأحد// [100].

هذه هي الكلمات الأخيرة للكتاب. كل شيء يبدو ممهوراً بهذا التوقيع النهائي على هيئة وعد. بشكل سري ولكن بشكل مرئي، محمياً بسرٍ يريده مكشوفاً، بسر يتلهف لجعله علنياً، يتمنى بيروشالمي لو أن آنا ــ أنتيغونه كانت وحدها الناطقة الحية، المفسرة الوفية، حاملة الصوت التي جاءت لتأييد أباها الميت ولتمثيل كلمته، اسمه، انتماءه، أطروحته، وحتى دينه. ما الذي بحسب بيروشالمي، قالته، إذاً؟ برغم كل إنكارات فرويد الاستراتيجية، برغم كل الاحترازات السياسية التي عبَّر عنها طوال حياته بخصوص الجوهر الشمولي (اللا يهودي) للتحليل النفسي، فإنه ينبغي عليه [التحليل النفسي] أن يتشرف بكونه يهودياً، يكونه علماً يهودياً بشكل أساسي، بشكل جوهري، بشكل جذري، بكونه يهودياً بمعنى مختلف عن الزعم المعادي للسامية، في حين يكشف "الحقيقة التاريخية" للعداء للسامية.

يبدو لي أن أطروحة بيروشالمي تتقدم هنا في حين أنها تتراجع. لكنها أطروحة ذات وضع خصوصي إلى حد ما ــ وذات حركة تنطوي على مفارقة: إنها لا تفترض ما **يكون** بقدر ما تفترض ما **سيكون** قد كان وينبغي أو يتعين أن يكون في المستقبل، أي إن التحليل النفسي يتعين عليه في المستقبل أن **يكون قد كان** علماً يهودياً (سأعود في لحظة إلى هذا الظرف الزمني)، بمعنى ما، بشكل معترف به، مختلفاً اختلافاً جذرياً عن [معنى] الاتهام بالعداء للسامية، ولكنه سوف يسلط الضوء، مرة أخرى، وفقاً لإيماءة فرويدية جداً في أسلوبها وتراثها، على

الحقيقة التي كان من الممكن أن يحملها اللا وعي المعادي للسامية.

سنعود إلى هذه المسألة بشكل آخر في حينه. في الوقت الحاضر، سوف أسحب من هذه الشبكة خيطاً تفسيرياً واحداً، الخيط الذي يتعلق بالأرشيف. ما الذي يحدث لوضع الأرشيف في هذه الحالة؟ حسناً، في اليوم ومنذ اللحظة التي يقدم فيها العلم نفسه هكذا، بشكل استثنائي على نحو مطلق، بشكل لا ينسجم مع فكرة الفلسفة في الغرب، ومنذ الحظة التي يربط فيها هذا الاسم ذاته، بشكل حقيقي، ليس فقط بتاريخ اسم علم، أو بنسب، أو بيت. هنا بيت فرويد، بل باسم وبناموس أمة، أو شعب، أو دين، هنا التحليل النفسي بوصفه علماً يهودياً، فإن هذا سيكون النتيجة المترتبة، من بين نتائج أخرى، على التحول الجذري لعلاقة علم كهذا بأرشيفه الخاص. وبالضربة نفسها، وقد حافظ على الوصف الجوهري لفردية **الأرخيّون** Arkeion، فإن ذلك سيغير مفهوم العلم ومفهوم الأرشيف. في البنية الكلاسيكية لمفهومهما، يكون العلم، الفلسفة، النظرية، القضية، أو يتعين أن تكون، مستقلة جوهرياً عن الأرشيف الفردي لتاريخهما. إننا نعرف جيداً أن هذه الأشياء (علم، فلسفة، نظرية..الخ) تمتلك تاريخاً، تاريخاً غنياً ومعقداً يحملها وينتجها بألف طريقة.إننا نعرف جيداً بطرق شتى ومعقدة أن أسماء الأعلام والتواقيع تؤثر. لكن بنية البيان النظري،الفلسفي، العلمي، وحتى عندما يعنى بالتاريخ، ليس لها أو لا ينبغي لها، من حيث المبدأ، أن تكون بحاجة

حقيقية ضرورية للأرشيف، ولما يربط الأرشيف، بكافة أشكاله، باسم علم ما أو بجسد علم، بنسب (عائلي أو قومي)، بمواثيق، بأسرار. إنه لا يمتلك مثل هذه الحاجة، بأي حال، في علاقته أو في زعمه **بالحقيقة** truth ــ بالمعنى الكلاسيكي للمصطلح. ولكن حالما يتكلم المرء عن علم يهودي، مهما يكن فهم المرء لهذه الكلمة (سأعود إلى ذلك في عجالة)، يصبح الأرشيف لحظة تأسيس لأجل علم كهذا: ليس فقط تاريخ وذاكرة الأحداث الفردية، وأسماء الأعلام النموذجية، واللغات، والأنساب، بل تاريخ وذاكرة الايداع في الأرخيون (الذي قد يكون قوساً أو معبداً [هيكلاً]، الاستيداع في مكان ذي برانية نسبية، سواءً كانت له علاقة بالكتابات أم بالوثائق أم بالعلامات المطَقْسَنة ritualized على الجسم تحديداً (على سبيل المثال، التمائم أو الختان). إن نقطة الخلاف هنا ليست أقل من أن نأخذ على محمل الجد مسألة ما إذا كان بإمكان العلم أن يعتمد على شيء كالختان.

إننا نقول عن عمد "شيء كالختان" لتحديد مكان هذه المشكلة، مكان هو، في ذاته، إشكالي، بين المجاز والحرفية. هل يمكن للمرء أن يقتنع ببيانات فرويد العديدة حول الختان، الذي سرعان ما يتم ربطه بالخصاء، أو التهديد بالخصاء؟ لشرح تكوين العداء للسامية، أعني الغيرة من شعب قدم نفسه، كما يقول، بصفته الابن الأكبر المفضل للرب، فإن فرويد يصور في كتابه /**موسى والتوحيد**/ العزلة المحيقة باليهود، العزلة التي تفصلهم عن

العالم، عزلة حصرهم بالختان الذي، وفقاً له، يعيد إلى الأذهان الخصاء المروع. إن هذا يبدو أقل إثارة للاهتمام، بأي حال هنا، أو أقل إقناعاً، من الأسلوب الذي يصف به فرويد **الانطباع** الذي يتركه الختان على الذين لم يُختنوا: "انطباع كريه، غريب [unheimlich] [SE 2: 91]. (لقد حاولت في مكان آخر أن أبين، ولا أستطيع الخوض في ذلك الآن، أن كلمة "unheimlich" تظهر في نص فرويد ــ وليس فقط في مقالة تحمل هذا العنوان: /Das Unheimlich/ ــ يمكن للمرء أن يحدد موقع اللا حسم المتعذر ضبطه في المسلّمات، الابستمولوجيا، المنطق، نظام الخطاب ونظام البيانات الطروحاتية أو النظرية، ويصح الشيء ذاته، بطريقة ذات دلالة، على هايدغر Heidegger).

يعتقد بيروشالمي بلا ريب، ويبدو كتابه بأي حال أنه يهدف إلى إثباته، أن التحليل النفسي هو علم يهودي، ويبدو أنه يهدف إليه بإحساس أصيل. إنه، إذ يتقدم بتجديد صارم و"علمي" للقراءة، يؤسس نفسه على أرشيف يكون في بعض الأحيان عتيقاً (أقدم تراث كتابي [توراتي] أو تلمودي)، وأحياناً يكون حديث النشر. بأي حال، إنه يترك إثباته معلقاً في النقطة التي يمكن أن يبدو فيها نهائياً حاسماً. إن السؤال الأساسي يبدو بلا جواب. بلا جواب من جانب فرويد. من الواضح أن بيروشالمي يريد ذلك أن يأتي من فم **فرويد**. يجب على فرويد أيضاً أن يقول، باسمه هو، أنه يقسم ويصرح، بأداء غير قابل للاختزال، أن التحليل

النفسي ينبغي عليه أن يتشرف بكونه علماً يهودياً. أداء يقرر العلم، العلم التحليلنفسي، بقدر ما يقرر جوهر الصفة اليهودية Jewishness إن لم يكن جوهر الديانة اليهودية Judaism.

من نافلة القول، إذا كان بمقدور المرء أن يعبر عن ذلك بهذه الطريقة، أن شبح فرويد لا يجيب. تلك هي على الأقل الكيفية التي تظهر بها الأشياء. ولكن هل يمكن الوثوق بذلك؟ في وعده بالسرية لجواب افتراضي يبقينا متنظرين، من شأنه أن يبقينا منتظرين على الدوام، فإن موقّع هذا المونولوج يفهمنا أن فرويد ما كان أبداً ليقول علناً، على سبيل المثال في كتاب وفيما قُدر له أن يصبح أرشيفاً علنياً، ما يظنه في الحقيقة سراً، مثل المونولوجيست الذي يقول "نحن"، أعني أن، نعم، التحليل النفسي هو في الحقيقة علم يهودي. هل هذا ليس بمحض الصدفة هو ما أوحى به، قبلئذ، في السر غالباً؟ هل هذا ليس هو ما قيل تمتمة قبلئذ في الملاحظات، المعهودة إلى الرسائل، المودعة في ألف إشارة؟ قام بيروشالمي بجردها وتصنيفها، وترتيبها وتفسيرها بحذر وتهلل .لا سابق لهما؟ ولكن في نهاية الكتاب، فإن المونولوجيست الذي يقول "نحن" يقول أنه مستعد لأن يحترم السر، لأن يحفظ لأجل أرشيفاته الشخصية الجواب الذي أمكن للشبح أن يتمتمه، بفمه هو، في أذنه، سراً. لا شيء يبدو لي اكثر خطورة مما يبدو في اللعب بهذا الاستنتاج، في سر انفتاحه بالضبط، في اختلاق **تشويقه**. لعدد كبير من الأسباب. يبدو

بعضها محولاً باتجاه الماضي، فيما البعض الآخر محول باتجاه مستقبل الأرشيف.

أ) فيما يتعلق بالأولى، أي تلك التي تنظر نحو الماضي، سأقول كلمة واحدة فقط. سأمضي في اتجاه ما هو، بنظر فرويد، وخصوصاً في **الرجل الجرذ** The R at M an، يربط ارتقاء العلم وارتقاء العقل بمجيء البطريركية. في ملاحظة لا أملك الوقت لقراءتها هنا وسوف أعلق عليها في مكان آخر، يرتكب فرويد ثلاثة أغلاط، مع ليشتنبرغ، الذي ينشد تأييده. فهو يخطئ في التأكيد على أنه لا يمكن أن يكون ثمة شك حول هوية الأم، بقدر ما يعتمد ذلك على شهادة الحواس، في حين أن هوية الأب تبقى موضع شك على الدوام لأنها، ولأنها وحدها، تعتمد على استدلال عقلاني، كذلك "التخييل القانوني" الذي يتكلم عنه ستيفن في رواية أوليس **Ulysses** لجيمس جويس. مع ذلك، من الأفضل اليوم، ولو فقط مع إمكانية الأمهات البديلات، الأمومات التعويضية prosthetic maternitie ، بنوك المني، وكل [أنواع] التخصيب الاصطناعي كما هي متوفرة لنا حتى الآن وستكون متوفرة أكثر في المستقبل عن طريق العلم الحيوي ــ الوراثي ــ التقني bio - genetic - techno ، أن نعرف أن الأمومة يُستدل عليها وتُكوَّن وتفسر، مثلها في ذلك مثل الأبوة. وكقانون أبدي. في الحقيقة كانت دوماً هكذا، بالنسبة لهذه أو لتلك.

يرتكب فرويد خطأً ثانياً باعتقاده مع ليشتنبرغ أن الأبوة، **والأبوة وحدها**، غير أكيدة مثلما هي مسألة ما إذا كان القمر مأهولاً: إننا نعرف اليوم، بكل اليقين الموضوعي، أن القمر غير مأهول، وبالمقابل، فأن نرى ونلمس تراب ذلك التابع satellite لهو اسهل من الهوية الأكيدة للأم. إنه يرتكب خطأً ثالثاً في التوصل من كل هذه الأغلاط أو الأوهام أو الهوامات إلى استنتاج متمركز حول القضيب Phallocentric: بسبب هذا الاحتكام المسلم به إلى العقل في تحديد الأبوة، بعد "شهادة الحواس"، فإن الانتقال إلى البطريركية [النظام الأبوي] قد وصم الانتصار المتمدّن للعقل على الإحساس، انتصار العلم على الإدراك.

بالشك في أن تكون آنّا ــ أنتيغونه قد تكلمت، من لندن إلى القدس، باسمها الخاص، بالأمل بشكل منظور في أنها قد تكلمت باسم أبيها ــ باسم أبيها المتوفي، ما الذي يهدف موقّع "مونولوج مع فرويد" إلى إضافته طباعياً في الـ "نحن" من هذا العقد الأحادي الجانب والـ "نحن" من هذا الميثاق في هذا الختان المكرر لفرويد؟ حسناً، ربما كان ينقش، ربما (وأنا حقاً أقول ربما)، كما لو أنه يوقع اسمه، برجولة حذرة لكنها حيوية ولا يمكن محوها، نحن الآباء، نحن الأرخونات، نحن البطاركة، حراس الأرشيف وحراس القانون. أقول ربما، لأن كل هذه الأسئلة تظل معلقة كما المستقبل الذي أعود إليه الآن. إنني حقاً أقول "ربما" كما يقول بيروشالمي "ربما" في إحدى اللحظات

الأكثر حسماً من استنتاجاته المعلقة ("عبثي؟ ممكن. لكنه**dokh tomer** ــ ربما، بعد كل...؟"). [99].

إن نقطة الخلاف هنا هي التوصل إلى استنتاج حول موضوع سر فرويد، موضوع فكره المخفي تحت غطاء كاذب أو لا يجاهر به سيكون التحليل النفسي وفقاً له يهودية بدون الله؛ أو لن يكون أي أمل بخصوص مستقبل لايوس ومستقبل أوديب أو مستقبل الدين". [أ] نت قد تكون محقاً تماماً، يقول ييروشالمي، الذي يرى في انسداد المستقبل، في انعدام الأمل، في اللا وعد، أكثر مما يرى في الإلحاد atheism، ما هو أقل يهودية، ما هو اكثر لا يهودية، لدى فرويد؛ مثل هذه اليهودية هنا، إن لم تكن يهودية تفتقر في جوهرها الأدنى، ولكن كما العلم ذاته، إلى انفتاح المستقبل. "ولكن بناء على مسألة الأمل أو انعدام الأمل". سيقول ييروشالمي لفرويد، حتى أكثر مما يقوم على وجود الله أو عدم وجود الله، يمكن لتعاليمك أن تكون في معظمها لا ــ يهودية" [95][8] إنني أشدد على هذا الشكل من "ربما" كما أجد نفسي على الدوام مدفوعاً إلى فعل ذلك. إنها تبدو لي غير قابلة للاختزال. زعم نيتشه أنه يميز مفكري المستقبل بجرأتهم على قول **ربما**. إنني أشدد على "ربما" لسبب آخر مع ذلك، في حين ألمح إلى هذه القرابة الأبوية لمن هم أكبر سناً التي يبدو أن ييروشالمي يدرج نفسه ضمنهم،على الأقل بإحدى إيماءاته. لأنه، أيضاً، يسأل البروفسور فرويد سؤالاً جديراً بالملاحظة حول هوية الأم، ففي مخططه الأوديبي، ربما كانت هوية لا

محسوسة، محجوبة ربما عن شهادة الحواس، مثل "التخييل القانوني" للأب وحتى أكثر من ذلك لأن المرأة ستكون هذه المرة هي القانون [الشريعة] ذاته: [التوراه، التعاليم، الوحي، التوراة المؤنثة نحوياً في العبرية والتي تقارن من الناحية المدراشية بالعروس. إن ما يتجاوز امتلاكها هو أن المسيحية، الابن الأصغر، جاءت ليس تحدياً للأب بقدر ما جاءت تحدياً لليهودية، الابن الأكبر. بسبب هذا الصراع، ربما كانت عبارة "التنافس الأخوي" مألوفة أكثر مما ينبغي من الناحية السيكولوجية (وللأسف، بشكل غالب من الناحية التاريخية) فإننا نتحدث عن قتل الأخ]. [92][9].

ب) نعم، دعونا بالأحرى نتكلم عن المستقبل. قبل طرح مسألة شبح الأب الأول، مسالة الطيف الأرخوني للتحليل النفسي، في اللحظة التي يعد فيها بحفظ السر، قبل كل شيء إذا أثبت أن التحليل النفسي هو بالفعل علم يهودي، يغامر بيروشالمي برسم إيماءة حاسمة. بشحطة واحدة في فقرة وحيدة يقلب البديهية الابستمولوجية برمتها التي تبيّن حتى هذه النقطة أنها افتراضٍ مسبق لخطابه. لوصف هذه الإيماءة سأختار، مرة أخرى، ما يُعنى بالأرشيف فقط.

أولاً، إن فرويد قد أعطى قبلئذ، في الأساسيات، الرد ذاته الذي يبدو أن بيروشالمي ينتظره أو يتظاهر بأنه ينتظره، عن طريق الوعد بالاحتفاظ به لنفسه، كما لو أنه أراد أن يمتلك لنفسه في السر، هنا، لذاته الخاصة تحديداً، جوزف حاييم

بيروشالمي، المبدأ لرد سري بالقدر نفسه كان فرويد قد أعطاه (قبلئذ ب، 65 عاماً!) إلى أنريكو مورسللي. كما لو أنه أراد أن يتقاسم مع فرويد، كله لوحده، سراً كان فرويد قبلئذ قد أودعه لدى شخص آخر، حتى قبل أن يولد بيروشالمي: "في عام 1926"، يكتب بيروشالمي، "أنت كتبت سراً إلى أنريكو مورسللي أنك لم تكن متأكداً من أن فكرته العامة [التي مفادها] أن التحليل النفسي هو نتاج مباشر للعقل اليهودي هي فكرة صحيحة، ولكن إذا كانت كذلك، فإنك "ستكون خجلاً") [100].

بعد إيراد هذه الوثيقة السرية، يضيف بيروشالمي ملاحظة. إنها تزيح بضربة واحدة كل مسألة المساواة بين اليهودية والتحليل النفسي برمتها. إن المصطلحين اللذين هما على هذا القدر من المساواة يصبحان مجهولين بالقدر نفسه، غير محددين، لمّا يتقرران بعد، متروكين كلياً للمستقبل. دعونا نقرأ هنا التصريح على الصفحة الأخيرة من "المونولوج": //بروفسور فرويد، عند هذه النقطة أجد أنه من غير المجدي أن نسأل ما إذا كان التحليل النفسي، من الناحية الوراثية [الجينية] أو البنيوية، هو فعلاً علم يهودي؛ ما سنعرفه، إن كان ذلك ممكناً معرفته بالمرة، فقط عندما يتم إنجاز الكثير من العمل في المستقبل. إن الكثير سيعتمد، بالطبع،على كيف سيتم تعريف مصطلحيْ (يهودي) و(علم) تحديداً. ففي هذا الوقت بالضبط، بترك المسألتين الدلالية والمعرفية [الابستمولوجية] جانباً، أريد فقط أن

أعرف ما إذا كنت قد توصلت أخيراً إلى الإيمان بأنه كذلك// [100].

يضع ييروشالمي توكيداً على الضمير **أنت**: ما هو مهم ليس مضمون ما كان سيقوله فرويد، الذي كان قبلئذ، وعلاوة على ذلك، قد أقر بذلك بطريقة ما، بقدر اعترافه بحقيقة أن عليه أن يقول ذلك، **هو** ("أنت")، بفمه، وأن يوقع عليه من الآن فصاعداً باسمه ويوقعه كما يقر المرء بإيمان: "ما إذا كنت **أنت** قد توصلت أخيراً أخيراً إلى الإيمان بأنه كذلك".

هذا هو فقط ما يريد أن **يعرفه**: "أريد فقط أن أعرف ما إذا كنت **أنت** قد توصلت أخيراً إلى الإيمان بأنه كذلك". إن الزمن والعمر يُحسب لهما حساب. يعرف ييروشالمي، وقد كان أول من استذكر ذلك، أن فرويد كان **يؤمن** بذلك، قبلئذ بـــ 65 سنة على الأقل. لو طلب منه ذلك مرة أخرى، لو طلب المزيد، لو بدا أنه يطلب منه تأكيداً جديداً، فإن ذلك كما لو انه أراد الكلمة الأخيرة، الوصية الأخيرة، التوقيع النهائي ("أخيراً") لأب يحتضر ــ وأن يكون حتى أكثر يقيناً، لأب ميت قبل الآن. إنه يريد تكراراً نهائياً، في الدقيقة الأخيرة؛ إنه يطلب تصديقاً على توقيع لا يمكن محوه، لما قاله فرويد قبلئذ بـــ 65 سنة وفي مناسبات قليلة تماماً.هذا التعهد ينبغي أن يكون عرضة للحسابات الاستراتيجية، لإنكارات فرويد الحي، ولتراجعات مؤسس تحليل نفسي معرَّض لكل التحريفات المعادية للسامية.

هذا التصريح يبدو أنه يغير كل الإشارات. عن هذا، وهذا لوحده، يبدو لي، الذي يمكن أن يحمل ويسوّغ العنوان الفرعي للكتاب: / اليهودية: النهائية واللا نهائية / Judaism Terminable and Interminable. إنه يتخلى الآن ليس فقط عن التعريف، وبالتالي عن محدودية كما عن نهائية اليهودية المفتوحة على المستقبل، بل يتخلى أيضاً عن تعريف ومحدودية ونهائية التحليل النفسي. إلى هنا، بأي حال حتى افتتاح هذا المونولوج التخيلي، قاس ييروشالمي خطابه ــ من أجل كل ما كان في النظرية مبيناً ومبرهناً ــ على المعايير الكلاسيكية للمعرفة، والثقافة والابستمولوجيا التي تسود في كل مجتمع علمي: هنا، موضوعية المؤرخ، المؤرشف، عالم الاجتماع فقيه اللغة، الإحالة إلى الموضوعات والمفاهيم الثابتة، البرانية النسبية في العلاقة بالموضوع، خصوصاً في العلاقة بأرشيف محدد بوصفه معطى قبل الآن، في الماضي أو بأي حال ليس سوى أرشيف ناقص، قابل للتحديد، وبالتالي قابل للإنهاء (نهائي) في مستقبل هو بحد ذاته قابل للتحديد، كمضارع مستقبل، غلبة الـ [ ] constative على الـ performative .... الخ. هذه هي الكيفية التي يمكن بها المرء أن يفسر التعليق، المقدم "بالمناسبة" بخصوص الاكتشاف، والنشر غير المتوقع، في عام 1980، للأرشيف الخاص لسابينا شبيلراين Sabina Spielrein. "هذا الاكتشاف" يلاحظ ييروشالمي، "ينبغي أيضاً أن يفيد في تذكيرنا بمدى نقص ومؤقتية أية استنتاجات [نتوصل إليها] في إعادات

بنائنا لتاريخ التحليل النفسي، إلى أن تصبح متاحة أكوام المواد التي لا تزال غير منشورة أو محجوزة عمداً [44]. إن نقص الأرشيف، وبالتالي محدودية المستقبل بعينه، إنما يجب أن يؤخذا في الحسبان من قبل المؤرخ في أية "إعادات بناء لتاريخ التحليل النفسي".

الآن، إن هذا النقص من مرتبة مختلفة كلياً عن مرتبة المستقبل الذي هو موضع تساؤل في نهاية "المونولوج". في منتصف الكتاب، فإن ما كان موضع تساؤل لا يزال هو النقص والمستقبل اللذان ينتميان إلى الزمن المعياري للتقدم المعياري. بدون شك،في نهاية الـــ "مونولوج"، يلمح بيروشالمي مرة أخرى إلى مستقبل بعض "العمل المستقبلي". لكن المستقبل الذي يتكلم عنه عندئذ، وقبل كل شيء عندما يتعلق الأمر بمفهومي العلم واليهودية، ليس من مرتبة هذا النقص النسبي. فهو لم يعد فقط اللا حسم المؤقت الذي يفتح الحقل العادي لعمل علمي متواصل وغير منجز دائماً، بالأخص لأن أرشيفات جديدة تظل ممكنة الاكتشاف، تخرج من السرية أو الدائرة الخصوصية، لكي تخضع لتفسيرات جديدة. إنه لم يعد سؤال الزمن نفسه، الحقل نفسه، والعلاقة بالأرشيف نفسها. في اللحظة التي يصرح فيها المؤرخ للبطريرك أنه سيكون "من غير المجدي أن نسأل ما إذا كان التحليل النفسي، من الناحيتين الوراثية أو البنيوية، هو فعلاً علم يهودي"، وعندما يضيف: "هذا ما سنعرفه، إن كان ذلك قابلاً للمعرفة بالمرة [التشديد من المؤلف]. فقط عندما سيتم

القيام بالكثير من العمل المستقبلي. إن الكثير سيعتمد، بالطبع، على كيف سيتم تعريف مصطلحي **يهودي** و**علم**"، في هذه اللحظة يغير السجلات والأزمنة بأكملها. بشحطة واحدة، يعلق التوكيدات البديهية والمعايير، والقواعد التي خدمته حتى الآن في تنظيم عمله العلمي، بالأخص النقد التأريخي، وبالأخص علاقته بالأرشيف المعروف والمجهول. يُعلق نظام المعرفة بحد ذاته، على الأقل، نظام المعرفة الكلاسيكية. إن موضع الخلاف هو المفهوم الآخر للمستقبل وهو ما سنعود إليه.

بما أن هذه الأسئلة التي تهيمن على مجمل الكتاب، لغاية هذا "المونولوج" تتعلق بالعلاقات بين اليهودية والعلم، خصوصاً ذاك العلم الذي أراد أن يكونه التحليل النفسي، فإن بيروشالمي الفقيه افترض بشكل دائم معرفة ما يعنيه "علم" و"يهودية". عندما كان تقييم الصفة العلمية للتحليل النفسي موضع تساؤل، فإن المؤرخ غالباً ما كان يكشف عن حدة شديدة ونفور، بخصوص ما يطلق عليه، في هذا الكتاب كما في كتاب //**زاخور: التاريخ اليهودي والذاكرة اليهودية**// اسم لاماركية فرويد أو "اللا ماركية النفسية" Psycho - lamarckism [109][10]. إنها مخلفات العصور القديمة antiquity التي تدينها حالة العلم، حالة علم ليس علم بيروشالمي، والذي يستخلص منه النتائج، بالمحصلة، من البراني، كما يفعل المؤرخ، في لحظة بعينها، من مجتمع علمي لا يشارك فيه بشكل فعال ولا يشاطره كفاءاته. من ناحية أخرى، يقبل بيروشالمي، كما يمكننا أن نفترض، أن ينتمي إلى

المجتمع العلمي للمؤرخين أو لعلماء اجتماع الثقافة، وبالأخص علماء اجتماع الثقافة اليهودية (إنه أستاذ التاريخ والثقافة والمجتمع اليهودي"). إنه يشارك بشكل فعّال وألمعي في انتاجاته، يزيد ويهذب كفاءاته [المجتمع]. ولكن فيما يتعلق بعلم الوراثة وتاريخ الحياة، فإنه يقبل دور المراقب الحيادي وفي النهاية دور المسبّح بحمد الله. لا بد له أن يعرف أن الأمور في هذا المجال تكون أكثر تشوشاً وأكثر انفتاحاً على المستقبل من ذي قبل، أكثر من أي مكان آخر، وليست عديمة الارتباط بالمنزلة المستقبلية للأرشفة. إن المنزلة الابستمولوجية [المعرفية] التي يدعيها لخطابه تستحق لذلك دراسة شاملة. لن نقوم سوى برسم خريطة للحدود التي يعينها لنفسه. هذا ليس بهذه السهولة، بالنظر لحركية هذه الحدود. يبدو أنه في الغالبية العظمى من العمل، وحتى عتبة الـــ "مونولوج" يقدم المؤلف نفسه كمؤرخ يزعم أنه يبقي نفسه خارجياً بشكل متعمد بالنسبة لموضوعه. إن المؤرخ، الذات subject لهذه المعرفة التاريخية، لا يقدم نفسه إذاً، إما كيهودي أو كمحلل نفساني، على هذا النحو. إنه يعامل الأرشيف التحليلنفسي بوصفه بيانات / (معطيات) data لا يكون الحق في الوصول إليها، في كشفها، تقييمها، هو شأن اليهودي أو المحلل النفساني حصراً. في مناسبات عديدة، يزعم بيروشالمي أن هذا الابتعاد هو الشرط لأجل التاريخ الذي ينوي كتابته. إنه يفعل ذلك، على سبيل المثال، بوضع هذه الكلمات لفيليب آريز Philippe Aries في

الحاشية من فصله الأخير، تماماً قبل "المونولوج" ــ كلمات أجدها من ناحيتي (وكما هو الحال غالباً وفقاً لما يقوله أريز ويفعله عموماً) أكثر إشكالية: //يمكن للمرء أن يبذل جهداً على تاريخ السلوك، أي على تاريخ سيكولوجي، دون أن يكون هو نفسه عالم نفس أو محللاً نفسانياً في حين يبقي نفسه على مسافة من نظريات ومفردات وحتى مناهج علم النفس الحديث. ومن نافلة القول أن ينازل علماء النفس، هؤلاء، على أرضهم. إذا ولد المرء مؤرخاً فإنه يصبح عالم نفس على طريقته الخاصة// [57].

للتعبير بإيجاز عن حيرتي إزاء هذه النقطة، ولماذا لا أشاطر بيروشالمي ثقته عندما يورد مثل هذه الملاحظة، واجداً فيها بعض الدعم بلا شك، أتساءل ما الذي يمكن أن يعنيه أن "يُولد مؤرخاً" (si on nâit historien) وأن يبني مرجعيته حول ذلك من وجهة نظر ابستمولوجية. قبل كل شيء، Concesso non dato، بافتراض أن المرء، في مثل هذه الظروف، يمكن أن ينجز تاريخاً سيكولوجياً، فإن ذلك لا يكفي لصنع تاريخ لعلم النفس، حتى أقله للتحليل النفسي؛ وقبل كل شيء ليس عند هذه النقطة حيث يزعم هذا العلم، هذا المشروع لعلم على الأقل يدعى التحليل النفسي، أنه يحول منزلة موضوع المؤرخ تحديداً، بنية الأرشيف، مفهوم "الحقيقة التاريخية، في الواقع مفهوم العلم عموماً، مناهج حل رموز الأرشيف، استخدام الذات في فضاء يزعم أنه يموضعها objectivize، وبالأخص تضاريس كل هذه

التقسيمات الجوانية / البرانية التي تشكل بنيان هذه الذات وتجعل منها مكاناً للأرشيف لا توجد بالنسبة له موضعة خالصة، ولا هي في الواقع ممكنة بقوة، أي كاملة ونهائية. حتى مؤرخ العلم ــ العلم الكلاسيكي ــ ينبغي عليه أن يعرف من الداخل مضمون العلوم التي ينجز التاريخ لها. وإذا كان هذا التاريخ يُعنى في الحقيقة بالتأريخ، فلا يوجد نهج صالح أو ابستمولوجيا صالحة لأن تخول المرء وضعه (أو وضعها) بين هلالين. إن المرء يحرم نفسه في هذه الحالة من الشروط الأولية، والحد الأدنى من الاستقرار الدلالي semantic وإلى حد ما من النحو grammar الذي من شأنه أن يسمح للمرء بالكلام عما يتكلم عنه. إن الزغبة في الكلام حول التحليل النفسي، وادعاء كتابة تاريخ التحليل النفسي من وجهة نظر لا تحليلنفسية صرفة، منقّاة من كل تحليل نفسي، إلى درجة اعتقاد المرء أن بإمكانه أن يمحو آثار أي انطباع فرويدي، هو كما لو أن المرء يدعي الحق بالكلام دون معرفة ما يتكلم حوله، دون حتى أن يريد سماع أي شيء حوله. هذه البنية لا تسري فقط على تاريخ التحليل النفسي،أو على أي خطاب حول التحليل النفسي، بل تسري على الأقل على كافة العلوم المسماة اجتماعية أو إنسانية،لكنها تلقى تحريفاً واحداً سوف نتفحصه هنا عن قرب أكثر.

إن بيروشالمي يعرف، في الحقيقة، أنه لا يستطيع أن يمتلك هذه البرانية. إنه يعرف ذلك جيداً أكثر مما ينبغي. فتحرير

خطابه من كل انطباع مسبق فرويدي ليس مستحيلاً فحسب، بل إنه غير شرعي. ولكن لما كان لا يريد التبرؤ من هذا الـــ **constative** المزعوم والحياد النظري الذي يزعم الفقيه أو المؤرخ الكلاسيكي أنهما المعيار له، فإن موقف خطابه هنا،بأي حال في الجزء الأفضل من كتابه وقبل الـــ "مونولوج"، هو موقف مزدوج، ملتبس، متقلب، وسأقول حتى انه محرَّف بإتقان، محكوم عليه بالنكران، وفي بعض الأحيان معترف بنكرانه تحديداً. إنه مضطهَد ومترجم بآن معاً عن طريق الأعراض التي تتطلب بشكل لا يقاوم تعقيباً، أعني أن هذا "المونولوج مع فرويد"، يمائل ــ أو يتظاهر بأنه يمائل ــ بداية التحليل والاعتراف المعلن بالتحول. سواءً كان يمائل أو يتظاهر بأنه يمائل، فإن هذا الملحق يحمل، بلا ريب، في الحقيقة، في تخييله بالذات، حقيقة الكتاب. وهذا ما يلاحظ خصيصاً في ارتعاش الإيماءة وتقلقل المنزلة: يرفض المؤرخ أن يكون محللاً نفسياً لكنه يحجم أيضاً عن عدم كونه محللاً نفسياً.

سنأخذ مثالين فقط، يتأثران بعلاقة مزدوجة بالأرشيف.

الأول، المثال الأكبر، يبين لنا رغبة مؤلف باهر يريد، في المحصلة، أن يكون المؤرشف الأول، أول من يكتشف الأرشيف، أركيولوجي [عالم آثار] وربما آرخون الأرشيف. المؤرشف الأول يؤسس الأرشيف كما ينبغي أن يكون، أي ليس فقط بعرض الوثيقة، بل بتثبيتها. إنه يقرأها، يفسرها، يصنفها. في هذه الحالة، فإن ما يخضع للتلاعب هو أكثر خطورة، عندما

تنتهي الوثيقة إلى حفظ هذا النقش في هيئة إهداء يرافق هبة مكررة، الهدية الثانية، إعادة طبعة فيليبسون للكتاب المقدس من قبل البطريرك الأكبر إلى بطريرك التحليل النفسي، الهدية التي يمنحها ياكوب بن ر.شلوموه فرايد بعد خمسة وثلاثين عاماً من ختان يبدأ بتذكيره في التسمية بقوس الميثاق وألواح الناموس. يعلن بيروشالمي في المحصلة أنه سيكون الأول (بعد **فرويد**)، في الواقع الشخصي الوحيد (بعد فرويد) الذي يفتح، إن لم يمسك، أرشيف ما يدعوه "الحدث الحاسم". إنه يود، كما سنرى، أن يكون الأول هنا: الأول بعد فرويد، الثاني الأول، الابن الأكبر، الثاني الأول بالتالي يكون للحظة لوحده مع فرويد، لوحده في المشاركة بالسر. (إنه بالتأكيد ليس الوحيد ولا الأول الذي يريد أن يكون الأول بعد فرويد وبالتالي لوحده مع فرويد؟ إن لدينا عدداً من الآخرين في فرنسا، تلك السلالة الفرنسية التي يبدو أن بيروشالمي يريد أن يوقي نفسه منها ــ ولكن لماذا؟ ــ كما يوقي نفسه من الطاعون).

بكونه على هذا الحال، لأي سبب لا يزال يتردد؟ لماذا هو محرج على هذا النحو بشأن مسألة من قبيل ما إذا كان يتبع أسلوب أولئك الذين سيطلق عليهم لاحقاً اسم "المؤرخين العاديين" [86]، أو، قبلئذ، بأسلوب مؤرخ محلل نفساني، بعبارة أخرى، بمعنى ما، بأسلوب وريث سلالة البطاركة أو كبار البطاركة الذين يفك شيفرة أرشيفهم للمرة الأولى و"بالضبط"، يقول "بالضبط" مرتين. ويدعي أنه ليس محللاً وليس لا محللاً - non

analyst ، ناكراً الفرضيتين بأن معاً، دون أن ينكر بذلك أياً منهما على التوالي أو بالتزامن. تسير الفقرة كما يلي: //ثمة فصل حاسم يضم ياكوب وسيغموند فرويد لم يقيَّم بدقة بعد، ليس أقله لأنه يتضمن نصاً عبرياً لم ينقل بدقة أبداً (الخط صعب على نحو لا يمكن إنكاره)، ناهيك عن كونه مموهاً على نحو كاف (45). لكنه، في الواقع، هو النص المعترف به الوحيد لياكوب فرويد في المتناول. لا أدعي فيما يلي تبجيلاً لإعادة بنائي [للنص] بوصفها إعادة بناء "تحليلنفسية"، (مع أنها ليست في ذلك اقل من إعادات بناء أخرى تتظاهر بذلك) [ستكون هذه قراءة رائعة ومضيئة] ولا أدعي، نظراً لتقييدات النص الواحد، أكثر من استبصار جزئي// [70][11].

هاكم الآن المثال التالي، المثال أيضاً على ما يلي، مثالاً ثانياً على الثانوية الأولى Primo - secondariness ، المثال على هذا الابن الأكبر، على هذا الابن الأكبر الثاني لياكوب فرويد، على هذه المنزلة المضاعفة لمؤرخ يرفض، بلا رغبة في الرفض، أن يكون، دون أن يكون، محللاً نفسانياً. ما يقوله لو كان بصدد أن يجيز لنفسه ما يجيزه بذلك لنفسه، أعني "ترف المصطلح التحليلنفسي التقني ــ المثال على "الطاعة المؤجّلة" deferred obedience: "هل يتعيّن عليّ في النهاية أن أجيز لنفسي ترف المصطلح التحليلنفسي التقني ــ المثال على "الطاعة المؤجلة" [77]. إن نقطة الخلاف هنا هي طاعة فرويد المؤجلة لأبيه، يوقف السياق والمشهد: في دقائق قليلة، ربما سنتكلم عن

"طاعة بيروشالمي المؤجلة" لكل واحد من هؤلاء الأشخاص ــ ونتوصل من ذلك إلى بعض الاستنتاجات).

مرة أخرى، إنها المسألة الوثائقية النفسية للتنقيب الآثاري ومسألة كشف الأرشيف. إنها تعنى بجملة واحدة في نوع من السيرة الذاتية الفكرية[12]. أضاف فرويد هذه الجملة، كتعبير عن الندم، فقط في عام 1935، بعد عام واحد من المخطط الأول لكتاب / **موسى والتوحيد**/. من المهم أن نعرف أن هذه الجملة قد حذفت، بشكل عرضي، تقول **الطبعة النموذجية**، في الـ Gesammelte Werke لعام 1948؛ وهي أيضاً غائبة، ولسبب وجيه، من الترجمة الفرنسية لماري بونابارت، التي تعود في تاريخها إلى عام 1928. لكن هذا الحذف تم إبقاؤه في طبعات لاحقة، على الأقل حتى عام 1950. يمكن للمرء أن يضيف هذه الملاحظة الفيلولوجية [الفقهية اللغوية] الصغيرة إلى الملف الذي يستقصيه فرويد نفسه في الفصل السادس من المقال الثاني من كتابه / موسى.. والتوحيد / [SE 23: 41 FF.]، في سياق تلك الصفحات الغنية حول الأرشفة، التراث الشفوي والتراث المكتوب، والحواشي التوراتية، والتأريخ، وكل الـ Entstellungen، كل تشوهات النص التي يقارنها بجرائم القتل. سأورد الآن الجملة التي أضافها فرويد في عام 1935، كما أوردها بيروشالمي: [إن انهماكي الشديد بقصة الكتاب المقدس (تقريبا حالما تعلمت فن القراءة) كان له، كما اعترفت

بعد ذلك بزمن طويل، أثر باق على اتجاه اهتمامي] [SE 20: 8 qtd. Yerushalmi 77].

يفسر ييروشالمي الوثيقة التي تتضمنها هذه الإضافة، بعد عشر سنوات من الطبعة الأولى: [إن ما له دلالته هو أن جملة لم تظهر في الطبعة الأولى. لقد أضيفت فقط في عام 1935، بعد عام من إنجاز مسودة مخطوط / موسى والتوحيد /. الآن فقط، باستعادة الأحداث الماضية، تحقق فرويد من الأثر التام لدراسة الكتاب المقدس على حياته، والآن فقط اعترف بذلك بشكل كامل. بهذا المعنى فإن / موسى والتوحيد / يمثل، في النهاية، تنفيذاً لتفويض ياكوب فرويد أو ــ هل ينبغي في النهاية أن أبيح لنفسي ترف المصطلح التقني التحليلنفسي ــ مثالاً على "الطاعة المؤجلة] [77].

ما الذي يتعين علينا أن نفكره بهذه "الطاعة المؤجلة"؟ (سألاحظ أولاً بين قوسين أن الجملة الصغيرة حول "الانهماك الشديد بالكتاب المقدس" قد تبعتها مباشرة جملة أخرى. لا يوردها ييروشالمي. بالحكم عليها شرعياً بكونها خارج نطاق ملاحظته فإنه يشطبها تماماً. من الطبعة الأولى فصاعداً، أعلنت هذه الجملة عن الأمل المثير للعجب والمفتون الذي يكنه فرويد بشكل مبكر جداً إزاء ما كانت "نظريات دراوين" ــ لا يذكر لامارك هنا ــ قادرة على الوعد به في ذاك الوقت لأجل مستقبل العلم).

في هذا المفهوم "الطاعة المؤجلة"، قد يُغرى المرء بالاعتراف بأحد مفاتيح أو، إذا كنت تفضل ذلك، أحد أختام هذا الأرخيون، أعني مفاتيح أو أختام هذا الكتاب لبيروشالمي، على الأقل بوصفه كتاباً أرشيفياً عن الأرشيف. في الحقيقة، إن المفتاح أو الختم، ما يدل عليه ويكشفه لكي يُقرأ هو اقل كمفهوم، المفهوم الفرويدي "للطاعة المؤجلة"، من الإنجاز الذي يحققه بيروشالمي. فهذا الإنجاز يأخذ المفهوم دون أن يتخذه، يستعمله دون أن يستخدمه: إنه "يذكره" أكثر مما "يستخدمه"، كما سيقول منظّر / **فصول الكلام** / speech acts؛ إن يستخرج منه مفهوماً يلتقط دون فهم، يستوعب دون اتخاذ. وهذه الإيماءة المزدوجة لشخص ينوي، بآن معاً، أن ينتحل ولا يأخذ على عاتقه المسؤولية النظرية ــ العلمية لمثل هذا المفهوم، هذا هو بالضبط مشهد "الترف" الذي يصفه الغنج الشرطي: [هل يتعيّن عليّ في النهاية أن أبيح لنفسي ترف المصطلح التحليلنفسي التقني مثال "الطاعة المؤجلة]. إن التلاعب بهذا الترف هو نقطه الوصل بين الحقيقة والخيال. إنه يؤكد وحدة الكتاب، كما يبدو لي، بقدر ما يمفصل معاً أربعة فصول من "البحث" ترى نفسها مطابقة للمعايير التقليدية للعلمية scientificity، وفصلاً أخيراً من المونولوج التخيلي ــ مع طيف لم يعد يستجيب، ظاهرياً على الأقل، لكن الفصل الأخير، الأكثر تخيلاً، هو بالتأكيد ليس الأقل حقيقية. إنه، على طريقته الخاصة، حتى لو لم يقل، **يصنع** الحقيقة، بالمعنى الذي استطاع اوغسطين أن يقوله عن الاعتراف. إنه يثير فينا

شيئاً ما آخر حول حقيقة الحقيقة، حول تاريخ الحقيقة، كما حول حقيقة الاختلاف الملغز الذي أراد فرويد أنْ يرسمه بين "الحقيقة المادية" و"الحقيقة التاريخية". لا يمكنني أن أتصور اليوم مدخلاً إلى مسألة الأرشيف أفضل من رهانات هذا الاختلاف المدوخ ذاتها.

كيف يصل "ترف" هذه "الطاعة المؤجلة"، بالنسبة لي، الحقبتين الزمنيتين لهذا الكتاب؟ إن تاريخ هذا المفهوم (Machträgliche Gehorsam "سهولة الانقياد وراء الحقيقة")، كما يعيد بيروشالمي تتبعه في سطور قليلة، يعود إلى كتاب "**الطوطم والتابو**"[13]. يلاحظ فرويد هناك أن [الأب الميت أصبح أقوى من الأب الحي... بحسب الإجراء السيكولوجي المألوف جداً بالنسبة لنا في التحليلات النفسية تحت اسم "الطاعة المؤجلة] [SE 13: 143].

من هذا الإخراج المسرحي المقنع جداً، يرسم بيروشالمي كل النتائج المترتبة. إن مصطلح "الطاعة المؤجلة" التقني، الآتي من كتاب "الطوطم والتابو" يُستعاد ويحول، هنا أيضاً مع الإرجاء المطلوب، إلى فرويد نفسه، فرويد مؤلف [موسى والتوحيد]. إن الانقيادية المؤجلة هنا تصبح انقيادية سيغموند إلى ياكوب، أبيه: [في كتابه [موسى والتوحيد] يطيع الأب متأخراً وينفذ وصيته بالعودة إلى الدراسة المكثفة للكتاب المقدس، ولكن في الوقت نفسه يحافظ على استقلاله عن أبيه عبر تفسيره. إنه يرفض

"الحقيقة المادية" للسرد التوراتي لكنه يبتهج في اكتشافه "لحقيقته التاريخية] [78].

أين يتركنا هذا؟ "يسأل بيروشالمي قبل مديح لو أندرياس ــ سالومي Lou Andreas - Salome، الذي يقول أنها قرأت شكلاً جديداً من "عودة المكبوت" في / موسى والتوحيد /، هذه المرة ليس في هيئة الأشباح الخارجة من الماضي، بل الخارجة بالأحرى مما يمكن للمرء أن يسميه "انتصار الحياة". إن الحياة الآخرة للبقاء لم تعد تعني الموت وعودة روح الميت، بل بقاء فرط الحياة الذي يقاوم الإلغاء ("بقاء العناصر الحيوية الأكثر انتصاراً من الماضي") [78]. بعد ذلك بصفحتين، في بداية الـ "مونولوج مع فرويد" يتجرأ بيروشالمي على مخاطبة فرويد. لذلك فإنه نفسه يتكلم إلى أحد هذه "الأشباح الخارجة من الماضي". إن هذا "الفقيه" الجديد يبدو أنه قد جاء مباشرة من مسرحية هاملت: "أنت فقيه يا هوراشيو، فخاطبه!". إنه يناجي الطيف الأبوي للبروفسور فرويد. هذا مشهد غير مألوف وربما لا سابق له في تاريخ التحليل النفسي، مع أنني أود، إلا أنني لا أستطيع، أن أُنصف الثراء المحجوب أو السخرية المفارقة اللا محدودة لهذا "المونولوج" الاستثنائي، الذي تجرأ المؤرخ خلاله على أن يتجاوز شخصاً لطالما لكان "المؤرخون العاديون" [86] يرتعبون أمامه. سوف أحصر نفسي مرة أخرى، بمثال الأرشيف. ومما لا شك فيه أنني لن ألقن مؤلف هذا "المونولوج"

العظيم مع فرويد شيئاً [جديداً] عندما أخاطر بملاحظات قليلة سأجمعها، طائعاً بدوري، تحت عنوان: "طاعة مؤجلة".

أيهما؟ لم تعد (1) الطاعة "بعد الحقيقة" التي يتكلم عنها فرويد في "الطوطم والتابو"، لم تعد (2) الطاعة التي يتكلم عنها ييروشالمي (طاعة سيغموند لياكوب، أبيه) بل، في الواقع، (3) الانقيادية المؤجلة لييروشالمي بالنسبة لفرويد.

دعونا نصف زمن هذا التكرار بالكلمات التي يفردها ييروشالمي لفرويد:

1) يخاطب ييروشالمي في النهاية و"بشكل متأخر" شبح فرويد باحترام بنوي.

2) إنه "يصون استقلاله". محاكياً قتل الأب المفترض بشكل مزدوج. يتجادل بمرارة مع أستاذ يقبل هو بقواعده ومقدماته التحليلنفسية. إنه يستبطن أيضاً خطاب البطريرك، على الأقل احتراماً لـــ "وفقاً لك" للديداخ، مصطلح تقني تلمودي. كل هذه الإشارات تذكرنا بأن ييروشالمي "يطيع الأب متأخراً"، سواء أراد ذلك أم لا. إنه يتماهى به في حين يستبطنه ويتمادى على حد الاعتراف به بشكل لا يخلو من الحماسة: //أنت حقيقي وأنت، بالنسبة لي، حاضر بشكل يثير الفضول// [81].

الآن، دعونا ألا ننسى أن هذا أيضاً هو الشبح لخبير بالأشباح. كان الخبير قد أكد، حتى، أن الأكثر لفتاً للانتباه في الكبت هو ما لا ينجح المرء في كبته. إن الخيال لذلك يخلق القانون ــ حتى، ولأكثر من حتى، عندما يناقشه المرء. مثل والد

هاملت خلف قناعه، وبفضل تأثير القناع Visor effect، فإن الطيف يرى دون أن يُرى، وبذلك فإنه يعيد ترسيخ الانقياد للغير، "التبعية" heteronomy. إنه يجد نفسه مؤكداً ومكرراً في الاحتجاج الذي يدعي المرء معارضته. فهو يملي حتى كلمات الشخص الذي يخاطبه كما، على سبيل المثال، يملي الكلمة الغريبة engrossment [انهماك / انغماس]: بعد استعماله لها لترجمة اعتراف فرويد المتأخر بتشبعه [تشرّبه] بالثقافة الكتابية [التوراتية]، يطبقها بيروشالمي على نفسه الآن، بشكل متعمد أم غير متعمد، لوصف استثماره الخاص في هذا الأرشيف لفرويد الذي أصبح نوعاً من الكتاب المقدس بالنسبة له، كتاباً مقدساً طيفياً. إنه يتكلم عن "انغماس" ــ ــه: عبر أو في جسم فرويد. بإيماءة يستحيل فيها أن نميز بين الحب والكراهية، ولكن يمكن التمييز بين مضاعفاتهما الصورية الزائفة، يبرر بيروشالمي بشكل مؤلم، بشكل مجهد، نفسه لفرويد، حتى ليكاد، كما يمكن للمرء أن يقول، يستغفره. إنه، حتى، يعيد إلى الأذهان، إذا كان لا بد للمرء من أن يصدقه، أنه خلافاً للورثة الآخرين والأبناء المتمردين، لم يبحث عن أسرار أو نقاط ضعف الأستاذ، الأستاذ الذي يبقى، مثل غوته، عبر "السجلات السيروية الذاتية"، كتوماً حريصاً: ["لم أتجول عبر حياتك بحثاً عن العيوب. تلك العيوب المكشوفة من قبل آخرين في السنوات الأخيرة لم تؤثر في انغماسي في إنجازك غير العادي، الذي يستمر في ملاحقتي "مثل شبح لا ينفك عني"] [82].

إننا نؤمن بشكل طبيعي، بكل المظاهر، بمعرفتنا بأن الشبح لا يرد. إنه لن يرد مرة أخرى، يعرف بيروشالمي ذلك. بناءً على اكثر من سبب واحد، لن يتكلم فرويد مرة أخرى.

1) إنه لن يرد مرة أخرى أبداً في المستقبل لأنه رد قبل الآن، وحتى بما يريد بيروشالمي أن يسمعه من شفتيه ــ على مورسيللي، مثلاً. قبلئذ بأكثر من نصف قرن.

2) لن يرد مرة أخرى أبداً لأنه لن يكون في وضع يؤهله لأن يكون قد رد قبلئذ على الدوام.

3) لن يرد مرة أخرى أبداً لأنه شبح، وبالتالي شخص ميت.

4) لن يرد مرة أخرى أبداً لأنه شبح المحال، وربما لأن المحال ينبغي أن ينسحب إلى الموقع الشبحي، مكان الشخص الميت، الذي يتكلم منه المرء إذا تُرك ليتكلم. لا يرد أبداً إلا ليُسكت نفسه، لا يكون صامتاً إلا ليدع المريض يتكلم، لفترة تكفي للتحويل، للتفسير، للعمل.

هكذا هنا المظهر، هنا ما نؤمن بأننا نعرف على الأقل/ الآخر لن يرد مرة اخرى أبداً. الآن برغم هذه الضرورات، فإن هذه الحقائق الجلية وهذه اليقينات المثبتة، رغم كل التوكيدات المطمئنة التي توفرها لنا مثل هذه المعرفة أو التظاهر بالمعرفة، من خلالها، فإن الشبح يستمر في الكلام. ربما كان لا يرد، لكنه يتكلم. شبح يتكلم. ما الذي يعنيه هذا. أولاً أو بطريقة تمهيدية، يعني هذا أنه بلا رد يقدم رداً، يشبه قليلاً آلة الرد answering machine التي يبقى صوتها بعد لحظة تسجيله: إنك تنادي

[تتصل بـــ]، الشخص الآخر ميت، الآن سواء كنت تعرف ذلك أم لا، والصوت يرد عليك، بطريقة دقيقة جداً، أحياناً بتهليل، إنه يرشدك، يمكن حتى أن يعطيك تعليمات، يقدم لك تصريحات. يوجه إليك طلبات، صلوات، وعوداً، توصيات. يفرض، concesso non dato، أن كائناً حياً يرد بطريقة حية على نحو مطلق ومضبوطة جداً بشكل نهائي، دون أدنى حد من التلقائية automatism، دون امتلاك تقنية أرشيفية تغمر تفرد حدث ما، فإننا نعرف بأي حال أن الرد الشبحي (الذي يتم تكوينه بالتالي عن طريق التقنية technè ونقشه في أرشيف)، هو ممكن على الدوام. لن تكون قصة ولا تراث ولا ثقافة بدون تلك الإمكانية. هذا هو ما نتكلم عنه هنا. هذا هو، في الحقيقة، ما يجب أن نجيب عنه.

لا يمكننا هنا أن نعيد تشكيل التبادل الفعلي للأسئلة والأجوبة المؤطرة ضمن إطار من الحركة في "مونولوج" كهذا حول موضوع [مضمون موسى] ذاته. هذا النقاش التلمودي ـــ التحليلنفسي آسر ومؤثر. ولكن هل يمكن للمرء عندئذ أن يقول بداهة a priori أنه يُظهر فرويد على حق؟ ألا يمكن أن يدعي أن نية هذا المشهد نفسه، المنطق الشكلي (الصوري) للحجج، طوبولوجيا واستراتيجية المتحاورين (الأحياء أو الشبحيين) تظهر أن فرويد **على حق**، حتى وربما قبل كل شيء حيث يكون على خطأ، من وجهة نظر "الحقيقة المادية"؟ حتى حيث يمكن أن يُخضع الشخص الميت للموت مرة أخرى، فإن فرويد مثل

آخرين كثيرين للغاية، من لايوس إلى موسى؟ حتى حيث يكون متهماً بكثير من النواقص من قبل الشخص الذي يباشر فيما يكرر أنا أكرر: "أنا لا ألومك" [98]؟

"الانصاف". مع ذلك، مرة أخرى، كنت أود، لكنني لا أستطيع، إنصاف النقاش الكثيف والغني الممسرح عن طريق هذا "المونولوج" النهائي. إذا كنت سأفشل في القيام بذلك وهو ما يبدو لي حتمياً لسوء الحظ، فإن ذلك لا يعزى فقط إلى حد أو آخر (شخصي، واقعي، وللأسف حقيقي)، إنه لا يُعزى حتى إلى انعدام الوقت. هذا الظلم القاتل يُعزى إلى ضرورة إظهار، a prioi، أن الشخص الذي يحتل موقع فرويد هنا هو علي حق. هذا هو التحريف الغريب الذي أودِ التكلم عنه (أيضاً بدافع الانشغال بالعدل، لأنني بلا شك سأكون ظالماً بدافع الانشغال بالعدل) فيما أنا أجعل من نفسي مذنباً بذلك، بدوري a prioi.

إن هذا "المونولوج" الخيالي والحقيقي بآن معاً، المتوتر– المثير، السمج بقدر ما هو عنيد، لا يحرم الآخر من حقه في الكلام. لا يستطيع المرء بلا ظلم أن يقول أن فرويد لا يمتلك الفرصة للكلام. إنه أول من يتكلم، بمعنى معين، والكلمة الأخيرة تعطى له. إن الحق في الكلام يُترك، يُعطى، أو يُقدم له. إنني أحتاج لساعات كي أبرر أياً من هذه الكلمات الثلاث. ما يهمني هنا، بالدرجة الأولى، هي الفنائية Fatality الشكلية تقريباً للتأثير الأدائي المسرحي) performative effect. (يجب أن أقيد نفسي بهذه الشكلية، متخلياً عن النقاش المفصل لمضمون

التحليلات. ولكن قبل العودة إلى هذه الفنائية البنيوية، أود أن أعطي مثالاً، على الأقل بين هلالين وفقط بمثابة إشارة، عما كان من الممكن لهذا النقاش أن يكونه. إن بيروشالمي، في بداية "المونولوج مع فرويد" وهو يستند بنفسه على بعض المقتطفات من المرداش، يقترح استنتاجاً أول لـ "البروفسور فرويد": [لو أن موسى فعلاً قد قُتل على أيدي أسلافنا، لما كانت الجريمة غير مكبوتة فحسب بل، على العكس، لكانت قد ذكرت وسجلت (أي: أرشفت)، بحماس وبعناد، بالتفصيل الأكثر حيوية، بوصفها المثال الجوهري والنهائي على إثم عصيان إسرائيل] [85].

هذا هو، برأيي، عصب الحجة في هذا الكتاب. الآن. إثباتاً لذلك، يجب على بيروشالمي مرة أخرى أن يفترض أن التعارض بين فعل الذاكرة أو فعل الأرشفة من جهة وبين الكبت من جهة أخرى إنما يبقى غير قابل للاختزال. كما لو أنه لا يستطيع، تحديداً، أن يستذكر ويؤرشف الشيء، الذي يكبته ذاته، أن يؤرشفه في حين يكبته (لأن الكبت هو أرشفة)، أي، يؤرشفه **بطريقة أخرى**، كبت الأرشيف في حين أرشفة الكبت؛ بطريقة أخرى، بالطبع، وتلك هي المشكلة برمتها، بدلاً من [أن يكون ذلك] وفقاً للأنماط الراهنة، الواعية، الواضحة للأرشفة؛ بطريقة أخرى، أي، وفقاً للمسارات التي قادت إلى فك الرموز التحليلنفسية، أو، في الحقيقة، إلى التحليل النفسي ذاته. كيف يمكن لبيروشالمي أن يتأكد من أن جريمة القتل قيد البحث لم تستذكر وتؤرشف (تذكر وتسجل) بوفرة في ذاكرة [بني]

إسرائيل؟ كيف يمكنه أن يدعي البرهان على غياب الأرشيف؟ كيف يثبت المرء بشكل عام غياب الأرشيف؟ كيف يثبت المرء بشكل عام غياب الأرشيف، إن لم يكن بالاعتماد على الأشكال التقليدية (حضور / غياب الإشارة الحرفية و الصريحة إلى هذا أو ذاك، على الهذا أو الذاك الذين يفترض المرء أنهما مطابقين لذاتيهما، وغائبين ببساطة، غائبين **فعلاً**، إن لم يكونا حاضرين ببساطة، حاضرين **فعلاً**: كيف يمكن للمرء ألا، ولماذا لا، يأخذ بالحسبان الأرشيفات اللا واعية unconsious، وبشكل عام أكثر: الأرشيفات **الافتراضية**؟ إن بيروشالمي يعرف الآن جيداً أن قصد فرويد هو أن يحلل، عبر الغياب الظاهر للذاكرة وللأرشيف، كل أنواع الأعراض، الدلالات، المجازات، الكنايات، والكنايات المرسلة التي تشهد بشكل افتراضي على الأقل، على التوثيق الأرشيفي حيث "المؤرخ العادي" لا يحدد شيئاً. سواءً سايره المرء أم لا في إثباته، فإن فرويد زعم أن جريمة قتل موسى تركت **بشكل فعلي** أرشيفات، وثائق، أعراضاً، في الذاكرة اليهودية وحتى في ذاكرة البشرية. إن نصوص هذا الأرشيف هي وحدها التي لا يمكن قراءتها وفقاً لمسارات "التاريخ العادي" وهذه هي بالتحديد علاقة التحليل النفسي بالموضوع، إن كانت له علاقة به.

دعونا نمضي أبعد من ذلك، دون أن نبتعد عن المثال الذي اختاره بيروشالمي الذي يمتلك الشجاعة والجدارة، والتهور حتى، لكي يستشهد ليس بالكتاب المقدس فحسب بل أيضاً بـــ

"الحاخامات في الميرداش" الذين يظلون أكثر "صراحة" من الكتاب المقدس في الشهادة على الأقل حول الشروع في جريمة قتل: [ولكن قال كل الجماعة أن يُرجما بالحجارة (سفر العدد 14: 10). ومن كانا؟ إنهما موسى وهارون. [لكن الآية ستمر] عندما ظهر مجد الرب [في خيمة الاجتماع لكل بني إسرائيل]. هذا يدلنا على أنهم [بني إسرائيل] لم يرجموا الحجارة وأن السحابة [سحابة مجد الرب] سوف تعترضهم] [85].

يبدو أن بيروشالمي يستنتج ــ ويبدو أنه يريد إقناع البوفسور فرويد ــ أنهم في الحقيقة أرادوا قتل موسى (وهارون). ولو بقيت هذه النية بالفعل في الذاكرة وفي الأرشيف، فإن ما يهم هو أن الإسرائيليين لم يقتلوا "فعلاً". هذا الاستنتاج يبدو هشاً على نحو مضاعف. وحتى من وجهة نظر المرداش قيد البحث. **أولاً**، دون الحاجة إلى استدعاء التحليل النفسي بعد، يتعين على المرء أن يقر بأنه لو لم تقع جريمة القتل، لو بقيت افتراضية، لو أنها فقط كادت أن تقع، لكانت النية في القتل فعلية، حقيقية، وفي الحقيقة، **مكتملة**. لقد كان ثمة **إبطال** [للجريمة] acting out، فالحجارة رُجمت بالفعل، ظلّت تُرجم في حين أن التدخل الإلهي هو وحده الذي صدها. الجريمة لم تُقطع في أية لحظة من قبل الإسرائيليين أنفسهم الذين تجاوزوا نيتهم المعلّقة [المبيّتة]، أو تخلوا عنها في وجه الخطيئة. لذلك لم توجد **النية** فحسب بل وجد **الشروع** في القتل أيضاً، كان شروعاً **فعلياً**، حقيقياً، لم يَحُلْ دونه سوى سبب خارجي (تقول هيئة المحلفين أنها الصدفة).

ثانياً، وهذه المرة مع الأخذ في الحسبان المنطق التحليلنفسي، فأي فرق بين جريمة القتل والنية في القتل (قبل كل شيء إذا أبطلت، بل حتى إذا لم تكن جريمة قتل، حتى إذا لم تصبح النية شروعاً في القتل)؟ إن جريمة القتل تبدأ بالنية في القتل. اللا وعي لا يعرف هنا الفرق بين الافتراضي والفعلي، بين النية والفعل، (اليهوذية بعينها أيضاً، بالمناسبة) أو على الأقل لا تقولب نفسها على الأسلوب الذي يصنف فيه الوعي (وكذلك القانون أو الأخلاق المنسجمة معه) علاقات الافتراضي، علاقات القصدي، وعلاقات الفعلي. لن ننتهي أبداً، فنحن في الحقيقة لم نبدأ، برسم كافة التبعات الأخلاقية ــ القضائية المترتبة على ذلك. بأي حال، فإن الوعي ربما حفظ ذاكرة وأرشيف النية في القتل، ذاكرة وأرشيف إبطال هذه الرغبة في القتل (كما تشهد على ذلك النصوص التي يوردها بيروشالمي نفسه، وبالأخص هذا الميرداش المنفرد) ــ حتى لو كان ثمة كبت؛ لأن الكبت أيضاً يؤرشف (ذاكرة وأرشيف) ما يخفي أو يرمز الأرشيفات. الأكثر من ذلك، سنرى جيداً أن الكبت لم يكن كل ما هو فعّال مؤثر: إن إرادة القتل، الإبطال، والشروع في جريمة القتل معلنة، إنها منقوشة حرفياً في الأرشيف. إذا لم يُقتل موسى، فذاك بفضل الله وحده. إن بني إسرائيل، المتروكين لمشيئتهم، الذين أرادوا قتل موسى، كانوا سيقتلونه: لقد فعلوا كل شيء ليقتلوه. قبلئذ، صرح بيروشالمي: "تبقى المسألة الحيوية، لو أن

موسى قتل في البرية [القفر]، هي ما إذا كان ذلك قد نسي أم أخفي" [84]. وكل شيء في نصه يرد بكلمة لا.

الآن بدلاً من التدليل، كما يعتقد أن بإمكانه الإدعاء، على أنه إذا كانت الجريمة لم تترك أرشيفاً فذلك لأنها لم تحصل؛ إذ يكفي أن نقرأ النصوص التي يوردها نفسه لنستنتج العكس من ذلك: إن النية في القتل كانت فعلية، والإبطال أيضاً، وهذا ما خلّف أرشيفاً، وحتى لو لم يكن ثمة إبطال للرغبة، لكان الوعي قادراً على الاحتفاظ بأرشيف النية الجرمية الخالصة، أرشيف إرجائها أو أرشيف كبتها. يمكننا أن نقول هذا، كما يبدو، دون أن يتعين علينا أن نتخذ موقفاً (وهو ما لا أفعله أنا) بل لدى القراءة المنطقية لمجمل هذه المجادلة لوحدها. وأن نوسع الحقل الإشكالي لأرشيف الافتراضي، في عموميته الكبرى، في كل مكان من وما بعد التحليل النفسي. إن الطوبولوجيا والنومولوجيا اللتين حللناهما حتى الآن كانتا قادرتين على أن تستلزما، كشرط لا غنى عنه إطلاقاً، الفعلية التامة والحقيقية لحصول، لواقعية، كما يقولون، الحدث المؤرشف. ما الذي سيؤول إليه ذلك عندما سيتعين علينا بالفعل أن نزيل مفهوم الافتراضية من المزدوجة التي تعارضه بمفهوم الفعلية، بالحقيقية، أو بالواقعية لأجل ما يحدث في المكان والزمان الافتراضيين؟ إنه محتمل بشق النفس. فهذه الطفرة هي قيد الحدوث، لكنها ستكون ضرورية للحفاظ على وصف دقيق لهذه الافتراضية الأخرى، للتخلي عن أو

لإعادة تشكيل مفهومنا الموروث للأرشيف من القمة إلى القاعدة. لقد جاءت اللحظة [المناسبة] لتلقّي خضة كبيرة في أرشيفنا المفاهيمي، ولتجاوز "منطق اللا وعي" بطريقة تفكير بالافتراضي لم تعد مقيدة بالتضاد الفلسفي التقليدي بين العقل والقدرة).

دعونا نعود الآن إلى ما أسميناه منذ لحظة الحصر المميت والشكلي للتأثير الأدائي Performative effect. هذا التأثير يُعزى إلى ما يفعله موقع الـــ "مونولوج"، في المشهد الذي يعتقد أن بإمكانه أن ينظمه، فيما يلعب أو ينتحل دوراً معيناً فيه. هذه الظاهرة تبين على ما يبدو أن الشبح على حق، في المكان المحدد حيث يمكن، ربما، أن يكون على خطأ ويخسر في صراع الحجج. لأن المشهد يتكرر فعلاً، ولا يمكن أن يكون أكثر وضوحاً. كل شيء يقوله فرويد حول عودة الأشباح و، لنستعمل كلمات ييروشالمي، حول الـــ "الصراع المتوتر للأب والابن" [95]. يمكن للمرء أن يتبين ذلك بالتفصيل. مثل هذا التكرار يثبت أن "الحقيقة التاريخية" لا يضعفها أي خرق "للحقيقة المادية". إن ما يثبت أو يبرهن حقيقة بعينها من [موسى والتوحيد] لفرويد ليس كتاب فرويد، أو الحجج المجندة هناك بوثاقة صلة أكثر أو أقل بالموضوع. وهو ليس محتويات هذه "الرواية التاريخية"، بل هو بالأحرى مشهد القراءة الذي تحرضه والذي يكون فيه القارئ منقوشاً مقدماً: على سبيل المثال، في المونولوج التخيلي الذي يكرر، بطريقة نموذجية في

قراءة أو مناقشة أو استدعاء فرويد، منطق الحدث الذي وُصف طيفه و"أُنِّيَتْ" بنيته عن طريق الرواية التاريخية. إن فرويد في / موسى والتوحيد / فرويد هذا هو في الواقع موسى بيروشالمي. النتيجة الغريبة لهذا التكرار الأدائي [المسرحي]، التفعيل effectuation غير القابل للكبت لهذا التمثيل enactment، الذي يبرهن عليه بشكل لا مفر منه بأي حال، هي أن تفسير الأرشيف (هنا، على سبيل المثال، كتاب بيروشالمي) لا يمكنه سوى أن يضيء، يقرأ، يفسر، يرسخ موضوعه، أقصد إرثاً مفترضاً، عن طريق نقش نفسه فيه، أي بفتحه وإثرائه بما يكفي لامتلاك مكان ملائم فيه. لا يوجد ميتا ــ أرشيف. إن كتاب بيروشالمي، بما في ذلك مونولوجه التخيلي، ينتمي من هنا فصاعداً إلى جسد فرويد (وجسد موسى...) الذي يحمل اسمه أيضاً. إن حقيقة أن هذا الجسد وهذا الاسم أيضاً يظلان طيفيين ربما تكون بنية عامة لكل أرشيف. بإدخال المعرفة التي يتم حشدها بالإحالة إليه، يفاقم الأرشيف ذاته، يستغرق ذاته، يكتسب هيبة **auctoritas**. ولكنه بالضربة نفسها يخسر السلطة المطلقة والميتا نصية meta - textual التي يمكن أن يدعي امتلاكها. إن المرء لن يكون قادراً أبداً على موضعته objectivize فيما لا يترك أي أثر باق. إن المؤرشف ينتج مزيداً من الأرشيف، وهذا هو السبب في أن الأرشيف لا يُقفل أبداً، إنه ينفتح على المستقبل.

كيف يمكن أن نفكر بهذا التكرار القاتل، التكرار بشكل عام في علاقته بالذاكرة والأرشيف؟ من السهل أن نتصور، إن لم نفسر، ضرورة مثل هذه العلاقة، على الأقل إذا ربط المرء الأرشيف بالتكرار، كما يُغرى بشكل طبيعي بأن يفعل دوماً، وربط التكرار بالماضي. لكن المستقبل هو نقطة الخلاف هنا، والأرشيف بوصفه خبرة المستقبل غير القابلة للاختزال.

وإذا كان ثمة سمة وحيدة يظل بيروشالمي متشبثاً بها بعناد، وإذا كان ثمة إثبات محمي من كل النقاش (التحليلنفسي أو التلمودي)، إثبات غير مشروط فإنه توكيد للمستقبل القادم (بالفرنسية، أفضل قول ذلك مع قدوم الـ **avenir** بدلاً من الـ Future للإشارة إلى مجيء حدث ما بدلاً من الإشارة إلى مضارع مستقبلي).

إثبات المستقبل **القادم**: هذه ليست أطروحة إيجابية. ليست سوى الإثبات ذاته، الـ "نعم" بقدر ما هي الشرط لكل الوعود أو لكل الآمال، لكل الانتظار، لكل القابلية للأداء،، لكل الانفتاح نحو المستقبل، مهما يكن، لأجل العلم أو لأجل الدين. إنني مستعد للاشتراك بدون تحفظ بهذه الإعادة إثبات التي يقوم بها بيروشالمي. بذرّة قلق في مؤخرة عقلي، ذرة واحدة من القلق حول نقطة وحيدة ليست بالضبط أية نقطة. سأحددها بمزيد من الدقة في لحظة. هذه النقطة الفريدة يمكن اختزالها، بالفعل، إلى **الفريد** unique، إلى وحدة **الواحد والفريد**.

إن تكرار المستقبل القادم نفسه يكرر بضع مرات. إنه يعود وفقاً لثلاثة أشكال على الأقل، تؤسس أيضاً أماكن للانفتاح. دعونا نطلق عليها اسم **أبواب**.

إن الأبواب الثلاثة للمستقبل يشبه كل واحد منها الآخر إلى درجة الخلط بينها، بالفعل، لكنها تختلف فيما بينها نفسها: على الأقل في أنها تدور حول مفصّلاتها لكي تنفتح، الواحد على الآخر. إن منطقها المكاني topo - logic لذلك يظل مضللاً تماماً.

إن المرء يتملكه بشكل دائم شعور بالضياع حينما يعيد تتبع خطواته. ما الذي يفعله الباب عندما ينفتح على باب؟ وقبل كل شيء على باب اجتازه المرء قبلئذ، في اجتياز القادم للاجتياز، في الاجتياز القادم؟ لدى تسمية هذه الأبواب، أفكر أو بالأحرى أحلم بفالتر بنيامين. ففي [أطروحات] ــ ــه حول **فلسفة التاريخ** / يحدد "**الباب الضيق**" لأجل مرور المسيح Messiah في كل ثانية على حدة. ويعيد إلى الأذهان أيضاً أنه: "بالنسبة لليهود لا يصير المستقبل القادم مع ذلك زمناً متجانساً وفارغاً" [2 . 70. 2: 1]. ما الذي يمكن أن يعنيه ذلك؟ أو، على الأقل في الوقت الحاضر، ما الذي يمكننا أن نفهمه من هذا التعليق أو نقوله. هذا التعليق حول الباب لمستقبل قادم لن يكون زمناً متجانساً؟ لذلك، اسمحوا لي أن أحدد موقع وهوية ما أدعوها بالأبواب الثلاثة للمستقبل القادم كما أخمن أن بإمكاني أن أحصيها في "المونولوج مع فرويد". ينفتح **الباب الأخير**، بالطبع،

في الجملة الأخيرة من الكتاب. إنه موقع لافت وضروري، حاسم بالضبط حيث لا شيء محسوم، إذ ليس صدفة أن هذا الباب الأخير يتخذ شكل وعد، الوعد بسر يبقى مكتوماً. ما الذي يحدث عندما يَعِدُ مؤرخ بالتكتم على موضوع أرشيف لم يؤسس بعد؟ من يفعل ذلك؟ هل يبقى هذا مؤرخاً؟ إلى من يعطي وعداً أمام من؟ أمام أي قانون؟ أمام أي طيف وأمام أي شبح يتظاهر ييروشالمي بتوريط نفسه لأجل المستقبل بإبقاء رد فرويد سراً عندما يعلن له بالكلمات الأخيرة من الكتاب: "أرجو أن تقول لي، أيها البروفسور، وأنا أعدك بألا أفشي ردك لأحد".

كيف يمكن للشخص الذي يعد بسر لشبح مع ذلك أن يجرؤ على القول بأنه مؤرخ؟ لن نصدقه، حتى لو تظاهر بأنه يخاطب البروفسور كزميل أو أستاذ. فالمؤرخ يتكلم فقط عن الماضي، ييروشالمي يقول ذلك بنفسه في آخر النص الأول من نصوصه التي أقرأها، إنه نص حول المارانوس*، الذين تماهيت بهم سراً على الدوام (لكنني لا أخبر أحداً) والذين يشبه تاريخهم اليهودي ــ السري إلى حد كبير تاريخ التحليل النفسي رغم كل شيء. حول "آخر المارانوس" يكتب ييروشالمي: [ولكن هل هم فعلاً [الأخيرون]؟ إن التاريخ، كما رأينا مؤخراً ليس منطقياً على

* المارانوس Marranos هم اليهود الاسبان أو البرتغاليون الذين انقلبوا إلى المسيحية في القرن الرابع عشر والخامس عشر هرباً من الموت أو الاضطهاد من قبل محاكم التفتيش. وتعني كلمة مارانوس بالإسبانية "الخنازير" حرفياً. (المترجم).

الدوام، إذ أنه من النادر أن يكون قابلاً للتنبؤ به. إن المستقبل، برغم المظاهر، يبقى مفتوحاً بشكل دائم. مهمة المؤرخ، لحسن الحظ، هي أن يحاول فهم الماضي. لقد حان الوقت لأن يتنحى المؤرخ لكي يسمح للصور بأن تتكلم] (برنر وبيروشالمي 44).

في تاريخ هذا النص حول المارانوس (وبيروشالمي دائماً يؤرخ مرتين في لحظة التوقيع أو أرشفة أعماله وفقاً لتقويمين هما: التقويم اليهودي والتقويم الآخر) تكون القضية بالنسبة له هي أن يدع الصور تتكلم في كتاب من الصور الضوئية، أي بنوع آخر من الأرشيف. ولكن في كل مرة يقرر مؤرخ كهذا أن "يتنحى جانباً ويدع.. يتكلم"، كأن، على سبيل المثال، يدع طيف مصور ضوئي أو شبح فرويد في المونولوج يتكلم، يكون ذلك شارة احترام أمام المستقبل القادم لمستقبل قادم. هكذا، إنه لا يعود مؤرخاً. ينبئنا الحس السليم بأنه لا يوجد تاريخ أو أرشيف للمستقبل القادم. إن مؤرخاً كهذا لا يتطلع أبداً إلى المستقبل، الذي لا يهمه في النهاية. ولكن لكونه يعني شيئاً آخر تماماً، فهل يوجد مؤرخ للوعد، مؤرخ للباب الأول؟

الباب الثاني يترك تعريفاً مزدوجاً مفتوحاً على المستقبل؛ تعريف اليهودية وتعريف العلم. إنه تعريف مفتوح على مستقبل **قادم** جذرياً، وهو ما يعني أنه غير محدد، ليس محدداً سوى بهذا الانفتاح على المستقبل القادم. إنه **لا تحديد** مشحون بقوة وبشكل مضاعف، لا تحديد **en a byme** إنه بالفعل، من ناحية أخرى، لا يحدد لا تحديداً واحداً عن طريق الآخر (اليهودية بالعلم والعلم

باليهودية). أستشهد بهذه الفقرة الأساسية للمرة الثانية. [بروفسور فرويد، عند هذه النقطة أجد أنه من غير المجدي أن أسأل ما إذا كان التحليل النفسي هو من الناحية الوراثية او البنيوية علم يهودي فعلاً؛ هذا ما سنعرفه، إن كان ذلك ممكناً بالمرة. فقط عندما يكون قد تم إنجاز الكثير من العمل في المستقبل. إن الكثير سيعتمد، بالطبع، على كيف سيتم تعريف مصطلحي (يهودي) و(علم) تحديداً].

هذا التعليق ورد بعد التلميح إلى "عمل مستقبلي كثير" وانفتح على لا نهائية فجوة المستقبل التي بقيت فيها إمكانية المعرفة بالتحديد مشروطة: ("إذا كان ذلك ممكناً معرفته"). بعبارة أخرى، إن تعريف المصطلحين يعتمد على المستقبل. في هذه المعادلة ذات المجهولين، وحده مستقبل العلم، وبالأخص مستقبل التحليل النفسي، هو الذي سيقول ما إذا كان هذا العلم يهودياً، لأنه سيخبرنا ما هو العلم وما هي صفة اليهودية Jewishness. لكن مستقبل الديانة اليهودية Judaism فقط (أو بالأحرى مستقبل اليهودية اللا نهائية) سيكون قادراً على هداية واستهلال علم الديانة اليهودية (أو بالأحرى علم الصفة اليهودية) علم يهودي بالفعل. الآن بما أن مستقبل العلم لذلك يمكن أن يكون مرتبطاً بصفة اليهودية، فثمة كل المغامرة وكل الحظ، في هذه الـــ aporia المنطقية، في أن يكون السؤال مقدراً له أن يبقى بلا جواب، بدون جواب، بأي حال، في هيئة معرفة نظرية أو في هيئة ابستيمة **episteme**.

من هنا، من ناحية أخرى، القوة الثانية للا تحديد. إنها قابلة للقراءة بالكلمات المترددة العديدة التي تترك إمكانية مفتوحة: إن هذا السؤال المزدوج الذي يربط صفة اليهودية والعلم لا يندرج ضمن مجال المعرفة وهو مغاير لكل البيان النظري: "سنعرف، إن كان من الممكن معرفة ذلك بالمرة". بوصولنا إلى هذه السطور الأخيرة من الكتاب، نظل غير قادرين على قول أي شيء وثيق الصلة حول ما يربط صفة اليهودية والعلم، حول ما يرسّخ ويضمن هذه المفاهيم (وبالتالي مفاهيم الأرشيفات المعتمدة عليها). لا شيء يبدو ذا صلة بالموضوع من الناحية العلمية. سأقول بالمناسبة أن هذا هو ما يحيّد أو يبطل كل ما أراد بيروشالمي أن يثبته حتى هذه النقطة. هذا هو ما يهدد ذلك، على الأقل في قيمته النظرية إن لم يكن في تأثيره الدرامي أو ثرائه الأدائي.

لكن ثمة شيء ما أكثر جدية وربما أفضل: في المستقبل، من الممكن جداً أن حل هذه المعادلة ذات المجهولين لن يندرج ضمن حقل المعرفة النظرية، أي حقل النظرية البيانية. هذا هو ما يوحي به "إذا كان من الممكن معرفته بالمرة". هذا الإرجاء الدهري يجمع في فصل واحد كل طاقة الفكر، طاقة الافتراضية، لمرة واحدة (energeia of a dynamis). إن كثافة هذا الإرجاء مدوخة ــ فهو يسبب دوخة في حين أنه يقدم الشرط الوحيد الذي يبقى عليه المستقبل القادم على ما هو عليه: قادماً. الشرط الذي يبقى عليه المستقل قادماً ليس فقط غير معروف،

بل لا يمكن أن يكون قابلاً **للمعرفة على هذا النحو**. إن تحديده ينبغي ألا يعود منضوياً تحت مرتبة المعرفة أو مرتبة أفق ما قبل المعرفة، بل بالأحرى مجيئاً أو حدثاً **يسمح** له المرء أو **يحثه** على المجيء (بدون رؤية أي شيء يأتي) في خبرة مغايرة لكل ملاحظته، مثلما هي مغايرة لأي أفق انتظار كهذا: أي بمعنى أنها مغايرة لكل النظريات القابلة للترسيخ كهذه. إنها مسالة هذا الأدائي performative القادم الذي لم يعد أرشيفه يمتلك أية صلة بما هو كائن. بسجل حضور ما هو أو سيكون فعلاً قد كان حاضراً. إنني أسمي ذلك مسيحانياً وأميزه بشكل جذري عن كل المسيحانية messianism.

الباب الثالث هو أيضاً الأول، وقد مررنا به لتونا. قبلئذ بصفحات قليلة، كان بيروشالمي قد نشر مسألة المستقبل أو خلود أوديب. وما كان قد آمن به في معارضته لفرويد، أخيراً، هو خبرة المستقبل أو خبرة التفاؤل التي تبدو له في الوقت نفسه غير قابلة للاختزال إلى تكرار أوديبي، ويهودية بشكل غير قابل للاختزال، **بشكل فريد، بشكل حصري**، ملائمة "لصفة اليهودية" إن لم تكن "للديانة اليهودية". إن العنوان الفرعي لكتابه يقول "اليهودية النهائية واللا نهائية"، لكن بيروشالمي يلاحظ بوضوح أنه إذا كانت [الديانة] اليهودية نهائية فإن [صفة] اليهودية لا نهائية [90]. إنها قادرة على أن تنجو من [الديانة] اليهودية. يمكن أن تنجو منها كإرث أي، بمعنى ما، **ليس بدون أرشيف**، حتى لو كان على هذا الأرشيف أن يبقى بدون طبقة سفلية

وبدون فعلية. بالنسبة ليبروشالمي ثمة في الواقع جوهر لصفة اليهودية محدد وغير قابل للاختزال. إنه معطى قبلاً ولا ينتظر المستقبل. وهذا الجوهر لصفة اليهودية ينبغي ألا يُخطأ بوصفه مندمجاً باليهودية، أو بالديانة، أو حتى بالإيمان بالله. الآن، إن صفة اليهودية التي لا تنتظر المستقبل هي بالتحديد الانتظار لأجل المستقبل، انفتاح علاقة على المستقبل، خبرة المستقبل. هذا هو ما ينبغي أن يكون ملائماً للـ "يهودي" وله وحده: ليس فقط الأمل، ليس فقط "الأمل في المستقبل" بل" توقع أمل معين لأجل المستقبل" (95).

وهذا هو المكان الذي يبدو فيه النقاش مع فرويد مغلقاً باسم الانفتاح على المستقبل، حتى حين يقول ييروشالمي، في السطور الأخيرة من الكتاب أن صفة "يهودي" Jewish (التي يمكن أن تكون صفة لأجل الصفة اليهودية كما لأجل [الديانة] اليهودية) تظل صفة معرّفة في المستقبل. هاكم أحد المقاطع التي تتصف بأقصى درجات الأهمية بالنسبة لنا بخصوص هذا الموضوع هنا. سوف اشدد على بعض العبارات: [في الواقع، إن السحر في ذلك كله هو أن أوديب أبعد ما يكون عن ان يكون غريباً على الكتاب المقدس نفسه، حيث العلاقة برمتها بين الله والإنسان وخصوصاً بين الرب وإسرائيل هي دوماً ذاك الصراع المتوتر بين الأب والابن؟ إن الاختلاف الدرامي يكمن ليس في فهم الماضي والحاضر، بل في توقع أمل معين لأجل المستقبل. هناك آية جديرة بالملاحظة في آخر أسفار الأنبياء (ملاخي 3:

24) [هذا التشديد من عندي، وهنا أحد الأرشيفات التي تشهد على أن "توقع أمل معين لأجل المستقبل" ــ أرشيف، وفقاً للمؤرشف، يفترض به أن يكون "فريداً" ــ الكلمة الأخيرة خطيرة جداً] يعبر عن رؤية فريدة [التشديد من عندي] لن يعثر عليها ــ على الأقل بشكل صريح [أنا أيضاً أشدد على هذا الإذعان الذي ينفتح على الهاوية التي ينكرها] ــ في النبوءات المسيحانية لأي من أسلافه. فكل الآخرين، يمكن القول، يطرحون حلاً نهائياً للصراع الأدويبي بين إسرائيل والرب؛ إن ملاخي يفعل ذلك أيضاً على المستوى الإنساني المحض: " - Ve "heshiv lev avot' al banim ve lev banum' al avotam (إنه سيصالح قلوب الآباء مع الأبناء وقلوب الأبناء مع آبائهم) (95) بشكل أكثر ثقة مما كنت بخصوص المعنى هنا، بكل عنفوان عبارات "فريد" و"بصراحة" و"إنساني محض" يتابع ييروشالمي، وهذه هي نقطة التمزق: "الديداخ Le - didakh . ليكن، كما تقول، أن الدين، الوهم الكبير، ليس له مستقبل. ولكن ما هو مستقبل لايوس وأوديب؟ إننا نقرأ إلى نهاية موسى [ــ ك] وأنت لا تقول [بالتالي، مرة أخرى، يسجل ييروشالمي صمت فرويد الذي برغم ذلك سيتظاهر بالكلام، بشكل افتراضي، ليس صراحة، في الزمن الشرطي، في الجملة التالية تحديداً]. ولكن لو أنك تخبرني أنهم، بالفعل، لا يملكون أي أمل، سأجيب ببساطة ــ قد تكون على حق تماماً. ولكن على سؤال الأمل أو انعدام الأمل، أكثر مما هو على سؤال الرب أو عدم

وجود الرب، فإن تعاليمك يمكن أن تكون في ذروتها لا يهودية [un - jewish] (93 ــ التشديد من عندي)

إن ما سيكون الأقل يهودية، الأكثر "لا يهودية"، الأكثر مغايرة للصفة اليهودية، لن يكون انعداماً للديانة اليهودية، ابتعاداً distancing كما تقول الترجمة الفرنسية ــ بالنسبة للديانة اليهودية (الدين، الإيمان بالله، اصطفاء إسرائيل)، بل اللا إيمان بالمستقبل، أي اللا إيمان بما يشكل صفة يهودية **وراء كل ديانة يهودية**. وراء الاحترازات والشروط، لدينا هنا، توكيد مستبعد من كل النقاش الآتي، إنه توكيد لا شرطي: إنه الصلة بين الصفة اليهودية، إن لم تكن الديانة اليهودية، والأمل بالمستقبل. هذا التوكيد غير شرطي، قبل كل شيء، في شكله: إنه عنيد ويستبعد نفسه، بسبب ما يربطه بالصفة اليهودية، من النقاش. لكنه مرة أخرى غير شرطي في مضمونه، كما ينبغي أن يكون كل توكيد من هذا النوع. إنه، بالفعل، ليس سوى توكيد التوكيد. الـــ "نعم" للـــ "نعم" الأصلية، الالتزام التدشيني بوعد أو بتوقع يراهن، apriori ، على المستقبل ذاته. إن ضرورة توكيد التوكيد، إثبات الإثبات، لا بد أنها حشوية تكرارية وتغايرية بآن معاً. إن ييروشالمي مستعد لتقديم تنازلات حول كل شيء، بما في ذلك حول وجود الرب وحول مستقبل الدين، حول كل شيء باستثناء هذه السمة التي تربط الصفة اليهودية والانفتاح على المستقبل. و، بشكل أكثر جذرية مع ذلك، حول **الفرادة المطلقة**

لهذه السمة. إن فرادة السمة هي قبل كل شيء الصلة التي لا تمحى، trait d' union ، بين الصفة اليهودية وبين (المستقبل) القادم. إن كون [المرء أو الشيء] يهودياً ومفتوحاً على المستقبل سيكونان الشيء ذاته، الشيء الفريد نفسه، الشيء نفسه بوصفه فرادة ــ ولن يكونا قابلين للفصل أحدهما عن الآخر. أن تكون منفتحاً على المستقبل هو أن تكون يهودياً ــ والعكس بالعكس. وبأسلوب تمثيلي. لن يكون فقط امتلاك المستقبل، القدرة على التوقع... الخ جدارة متقاسمة يمكن أن تبدو شموليتها لا جدال حولها بل أن تكون بالنسبة للمستقبل هكذا، وأن تحمل هويتك، تعكسها، تعلن عنها، تعلنها للذات، فقط خارج ما يأتي من المستقبل القادم. هكذا ستكون السمة، الفرادة النموذجية لـ **trait d' union.**

دون أن أخاطر بإلقاء نفسي في اللجة المنطقية لهذا التوكيد وفي الـ aporias النموذجية التي حاولت أن أصفها في مكان آخر، وبشكل فعلي حول موضوع النموذجية اليهودية، يجب مرة أخرى أن أرضى بالإحالة إلى الأرشيف. وتحديداً حيثما نجد باباً مفتوحاً أو مغلقاً على آخر. في التحليل النهائي، لأن هذا التوكيد اللا شرطي الذي يقدم نفسه، كما قلت، بوصفه لا يُمحى ineffaceable ، يؤسس سلطته [مرجعيته]، بالدرجة الأولى، على أسبقية الأرشيف ــ على سبيل المثال، كما رأينا تماماً، آية من آخر أسفار الأنبياء، كما يفسرها المؤرشف. لكن مرجعية التوكيد اللا شرطي نفسه تكون قبل كل شيء قائمة على ما يمكن

أن يشبه سمة فريدة أخرى لصفة اليهودية بحسب ييروشالمي، والتي، مما لا شك فيه، تكرر السمة الأولى كما لو أنها تؤول إلى الشيء نفسه. هذه المرة يجب أن تكون على علاقة ليس فقط بالانفتاح على المستقبل، بل **بالتاريخية** historicity وبالالتزام بالذاكرة، أو بشكل أفضل، بالالتزام بالأرشيف. إنني أحيل الآن إلى كتاب آخر من كتب ييروشالمي، جميل ويُحتفى به بحق، بالقدر نفسه. إنه كتاب: "**زاخور: التاريخ اليهودي والذاكرة اليهودية**". ففي فقرة / **موسى فرويد**/. التي قرأنا قبل الآن، إذا كان ييروشالمي قد أطلق **دراما** "الاختلاف الدرامي" على موضوع **المستقبل** بوصفه شيئاً يهودياً، فإنه يتكلم هنا مرة أخرى عن الدراما، عن "الدليل الدرامي" (البرهان أو المؤشرات الدرامية، الشهادة الدرامية، بالمعنى العريض لكلمة "شهادة" testimony؛ لا بل حتى يمكن للمرء أن يقول الأرشيفات) على موضوع **الماضي** بوصفه شيئاً يهودياً ويهودياً فقط بشكل فريد، بشكل حصري: [لا حاجة لدليل درامي على المكانة المهيمنة للتاريخ لدى إسرائيل القديم أكثر من حقيقة أنه حتى الله لا يُعرف إلا بقدر ما يكشف عن نفسه "تاريخياً] [9].

وبعد بضعة استشهادات المقصود منها هو أن تدعم هذا الإثبات بأقوال، نجد أنفسنا أمام هذا الوصف الاستثنائي: إن أمر الذاكرة ينزل على إسرائيل، وعلى إسرائيل وحده. الآن، منذ دقيقة، قبل الآن، كانت لدينا الصفة نفسها، التسمية نفسها دن أية مشاركة. كانت المسألة، إذاً، هي مسألة توقع أمل معين

للمستقبل"، مسألة حصريتين، وفي الواقع، استبعادين، عزلتين ومسؤوليتين، تسميتين في الامتياز المطلق للانتخاب. كما لو أن ييروشالمي كان مستعداً للتبرؤ من كل شيء في [الديانة] اليهودية (النهائية) لم يكن صفة يهودية (لا نهائية)، كل شيء، الإيمان بوجود اله، الدين، الثقافة.. الخ باستثناء تلك السمة المؤرشفة للصفة اليهودية التي هي شيء على الأقل يشبه الانتخاب [الاصطفاء] حتى لو لم يكن بصدد أن يُخلط به: الامتياز المطلق، الفرادة المطلقة في خبرة الوعد (المستقبل) وأمر الذاكرة (الماضي). لكن الاثنين لا يضافان أو يقاربان: فالواحد منهما مؤسس على الآخر. لأنه كان ثمة حدث مؤرشف، لأن الأمر أو القانون قدم ونقش نفسه في الذاكرة التاريخية بوصفه أمر الذاكرة، مع أو بدون طبقة سفلية، إذ أن الامتيازين المطلقين مقيدان أحدهما بالآخر. كما لو أن الله قد نقش شيئاً واحداً فقط في ذاكرة **شعب واحد** وذاكرة شعب بأكمله: في المستقبل، تذكروا أن تتذكروا المستقبل. وكما لو أن كلمة "شعب"، في هذه الجملة، لا يمكن تصورها إلا بدافع الفرادة غير المسبوقة لهذا الأمر الأرشيفي. هنا يوجد ما أسميه الوصف الاستثنائي، عن الموضوع الذي سأحتفظ بعدد كبير من الأسئلة حوله في السر. إن بعض هذه الأسئلة يمتلك بعداً أخلاقياً أو سياسياً، لكنها ليست الأسئلة الوحيدة، برغم إلحاحها الواضح. كنت أتمنى أن امضي ساعات، في الحقيقة دهراً، أتأمل فيما أنا أرتجف أمام هذه الجملة: "فقط في إسرائيل وليس في مكان آخر

يوجد الأمر بالتذكر الذي يُشعر به كواجب ديني لشعب بأكمله" .[9]

كيف يمكن للمرء ألا يرتجف أمام هذه الجملة؟

أتساءل إن كان ذلك صحيحاً، إن كان ذلك إنصافاً، إن كان ذلك عدلاً. من بمقدوره أن يطمئن، عن طريق أي أرشيف، إلى أن هذه الجملة عادلة؟ عادلة بالعدل الذي يوحي به بيروشالمي بهذا العمق في مكان آخر يمكن أن يكون بالفعل نقيضاً للنسيان؟ أشعر بنفسي أنني شديد القرب إلى ما يقوله بعدئذ في هذا الاتجاه و، بمحض الصدفة في هيئة سؤال[14]. في نهاية ملحق زاخور، يتردد السؤال نفسه، بالفعل: "هل من الممكن أن يكون عكس "النسيان" ليس "التذكر" بل العدل؟ " [117]. وأنا أفكر في هذا العدل أتساءل، وأنا أرتجف، إن كانت عادلةً الجملُ التي تحتفظ لإسرائيل بكل من المستقبل والماضي، كهذين، بكل من الأمل (توقع أمل معين لأجل المستقبل") وواجب الذكرى (الأمر بالتذكر)، التسمية التي سيتم الشعور بها من قبل إسرائيل **لوحده**، إسرائيل كشعب، وإسرائيل في مجمله (فقط في إسرائيل وليس في كمان آخر" "كواجب ديني لشعب بأكمله"). بمنطق هذا الاختيار، ما لم يكن المرء ملزماً بأن يسمي بالاسم الفريد لإسرائيل كل الأماكن وكل الشعوب التي ستكون مستعدة لتمييز نفسها بهذا التوقيع وبهذا الأمر ــ وعندئذ لن يعود هذا مجرد مشكلة مدوخة من مشاكل علم الدلالة أو مشاكل الخطابة. ومثل مشكلة اسم العلم، فإن مسألة التمثيلية exemplarity التي

وضعتها جانباً من قبل، تحدد هنا موضع كل التحريفات (الانتهاكات)، لأنه إذا كان من العدل أن نتذكر المستقبل والأمر بالتذكر، أعني الأمر الأرخوني بحراسة وجمع الأرشيف، فليس أقل عدلاً أن نتذكر الآخرين، أخري الآخر، والآخرين في ذاته، وأن الشعوب الأخرى يمكن أن تقول الشيء نفسه ــ بطريقة أخرى: وأن tout autre est tout autre كما يمكن أن نقول بالفرنسية: كل آخر هو كل آخر آخر، هو آخر تماماً.

بالكلام بشكل رسمي بأسرع مما ينبغي كسباً للوقت، دعونا نمضي مباشرة إلى السبب الذي من أجله يمكن أن يصعق المرء بفزع أمام الظلم الافتراضي الذي يغامر المرء بارتكابه باسم العدل نفسه. دعونا نصوغ الحجة صوغاً جافاً بطريقة تهجن، بمعنى محدد، التحليل النفسي بالتفكيك، تهجن "تحليلاً نفسياً" محدداً و"تفكيكاً" محدداً. عندما أقول أنني أرتجف، فأنا أعني أن المرء يرتجف، الـــ "واحد" أو الـــ "أحد" يرتجف، أياً يكن من يرتجف: لأن ظلم هذا العدل يمكن أن يركز عنفه "بالتحديد في تكوين "الواحد" وتكوين الـــ "فريد". بالضبط حيث يمكنني أن أؤثر في كل واحد وأي واحد، أياً يكن. في الجمل التي أوردتها للتو، فإن الكلمات التي تجعل (ني) أرتجف هي وحدها الجمل التي تقول الواحد، اختلاف الواحد في مجاز الفرادة ("الاختلاف الدرامي"، "الرؤية الفريدة"، "الأمل النوعي"، (فقط في إسرائيل وليس في مكان آخر")، والواحد في مجاز الجمع الشامل (إلى

شعب بأكمله). إن تجمّع الواحد في ذاته لا يكون بدون عنف، ولا يكون توكيد الذات **للفريد**، قانون الأرخوني، قانون الاستيداع الذي ينظم الأرشيف. إن الاستيداع لا يكون بدون ذاك الضغط الزائد (الانطباع، الكبت، القمع) الذي يكون كبته (Verdrängung أو Urverdrängung) وقمعه (Ünterdrückung) مَجازين على الأقل. لأنه ربما لا يكون من الضروري أن نمنح الأسماء التحليلنفسية لهذا العنف غير الضروري وغير المؤكد، وغير الأساسي. ألا يكفي أن نعترف بهذا العنف المؤثر في تكوين الأرخوني للواحد وللفريد لكي يجد فرويد تبريراً تلقائياً أو بنيوياً لأجل "روايته التاريخية"؟ هل إن ضرورة هذا العنف الأرخوني لا تعطي معنى لكتابه / موسى والتوحيد / وحتى حقيقة لا تنكر، "حقيقة تاريخية" إن لم تكن "حقيقية مادية"؟ لـ "موسى" ـ ـه، لأبيه ياكوب، باختصار: لفرويد، الذي كان موسى ـه أيضاً هو موسى يبروشالمي؟ للابن كجد (لأي كان، لأي "واحد"، لأحد ما يقول "أنا"، لنفسي، على سبيل المثال، ياكوب أو ايلي، أنا الذي ليس لي أب يدعى حاييم فحسب، بل إن لي، كما لو بالصدفة، جداً يدعى موسى. وآخر، إبراهيم)؟

حالما يوجد الواحد، يوجد القتل، يوجد الجرح، يوجد الرض. L' un se garde de l' autre. الواحد يحاذر / يحفظ بعض الآخر. إنه يحمي **ذاته** من الآخر، لكنه، في لحظة هذا العنف

الغيور، يضم إلى ذاته، وبالتالي يحرس، آخرية الذات أو اختلاف الذات (الاختلاف من داخل الذات نفسها) يجعلها واحداً. الـ "واحد مختلفاً، من ذاته مؤجلاً". الواحد بمثابة الآخر. على الفور، في الوقت نفسه، لكنه في وقت واحد مشوش، ينسى الواحد أن يذكر ذاته لذاته، يحفظ ويمحو أرشيف هذا الظلم الذي يوجده. أرشيف هذا العنف الذي يقوم به. L' un se fait violence . الواحد يصنع لذاته عنفاً. ينتهك ويمارس العنف على ذاته، لكنه أيضاً يؤسس ذاته كعنف. يصير ما يكون، العنف ذاته ــ الذي يفعله لذاته. تحديد الذات بوصفه عنفاً L' un se garde de l'autre pour se fair violence (لأنه يصنع لذاته عنفاً وبذلك يجعل ذاته عنفاً) فقط بالفرنسية يمكن أن يقال هذا وبالتالي يؤرشف بهذا الشكل الاقتصادي[15].

الآن، بات من الضروري أن يكرر هذا نفسه. إنها الضرورة نفسها، Ananké. الواحد، كتكرار للذات، لا يمكنه سوى أن يكرر ويستذكر هذا العنف المؤسس. لا يمكنه سوى أن يثبت ذاته ويلزم ذاته بهذا التكرار. إن هذا هو، حتى، ما يربط في العمق أمر الذاكرة بتوقع المستقبل القادم. إن الأمر، حتى عندما يستدعي الذاكرة أو حرس الأرشيف، يتحول بشكل لا يقبل الجدل نحو المستقبل القادم. إنه يأمر بالوعد، لكنه يأمر بالتكرار، وقبل كل شيء بتكرار الذات، توكيد الذات بنعم ما، نعم. لذلك إذا كان نقش التكرار في قلب المستقبل القادم، فيجب على المرء أيضاً أن يستحضر هناك، بالضربة نفسها، دافع الموت، عنف

النسيان، القبت (القمع والكبت) superrepression، اللا أرشيف anarchive. باختصار، إمكانية قتل كل شيء، مهما يكن اسمه، يحمل الناموس في تراثه: أرخون الأرشيف، الطاولة، ما يحمل الطاولة ومن يحمل الطاولة، المرتسم subjectile، الطبقة السفلية، وموضوع الناموس.

هذا هو السبب في أن فرويد قد لا يكون قبل بهذا الشكل البديل بين مستقبل وماضي أوديب، أو بين "الأمل" و"انعدام الأمل"، اليهودي واللا يهودي، المستقبل والتكرار. فالواحد هو للأسف، أو من دواعي السعادة، شرط الآخر. والآخر هو الشرط لأجل الواحد. لكي نقول أن المسألة الحاسمة وفي الوقت الحالي المسألة غير القابلة للحسم سوف تشمل معرفة، إن كانت على الأقل مسألة معرفة (إن كان من الممكن معرفته بالمرة)و ما تعنيه كلمتا "يهودية" و"علم" وأن هذا يبقى مفتوحاً على المستقبل، فيجب على المرء أن يمنح نفسه، على الأقل، فهماً مسبقاً لما يعنيه "القدوم". إنه الآن في بنية المستقبل القادم لا يمكنه أن يموضع ذاته وهو يرحب بالتكرار، إلا بقدر ما يكون ذلك احتراماً للوفاء ــ للآخرين وللذات ــ كما في إعادة التموضع العنيف للواحد. فالجواب على سؤال ("ما هو المستقبل؟") يبدو لذلك مفترضاً بشكل مسبق من قبل بيروشالمي. إنه سابق للإثبات الذي سيقول المستقبل بموجبه كيف نعرّف "العلم" و"اليهودي" و"العلم اليهودي".

فيما يتعلق بهذا الافتراض المسبق أو هذا الفهم المسبق، نجد أنفسنا هنا أمام aporia . لقد جربت الصراع مع هذا في مكان آخر ولن أقول سوى كلمة واحدة حوله، من وجهة نظر الأرشيف: هل يؤسس المرء تفكيره بالمستقبل على حدث مؤرشَف ــ مع أو بدون طبقة سفلية، مع أو بدون فعلية actuality ــ على سبيل المثال بناءً على أمر إلهي أم على ميثاق مسيحاني؟ أو خلافاً لذلك، بالمقابل، هل يمكن للخبرة، للوجود (العيش)، عموماً، أن يتلقى فقط ويسجل فقط، أن يؤرشف فقط مثل هذا الحدث إلى حد أن بنية هذا الوجود وبنية تزمينه temporalization تجعل هذه الأرشفة ممكنة؟ بعبارة أخرى، هل يحتاج المرء إلى أرشيف أول لكي يتصور قابلية الأرشفة archivability الأصلية؟ أو العكس بالعكس؟ هذه هي مسألة العلاقة بين حدث الإلهام الديني (offenbarung) والإلهامية offenbarkeit، إمكانية التمظهر (التجلي)، التفكير المسبق بما ينفتح على وصول أو قدوم مثل هذا الحدث. أليس صحيحاً أن منطق ما بعد الحقيقة Nachträglichkeit الذي ليس في صميم التحليل النفسي فحسب، بل حتى، حرفياً، إنه هو العصب المحرك لكل الطاعة المؤجلة nachträglich، يتبين أنه يمزق، يشوش ويعقد إلى الأبد التمييز المطمئن بين طرفي هذا البديل، كما بين الماضي والمستقبل، أي بين المضارعات الفعلية الثلاثة، التي هي المضارع الماضي والمضارع الحاضر والمضارع المستقبل؟ بأي حال، لن يكون هناك مستقبل بدون

تكرار. ولذلك، كما يقول فرويد ربما (وهذه ستكون أطروحته)، لا يوجد مستقبل بدون شبح العنف الأدويبي الذي ينقش القبت (القمع + الكبت) في المؤسسة الأرخونية للأرشيف، في التوضيع، التوضع الذاتي والتوضع الغيري للواحد والفريد، في الأرخي الناموسي.

ودافع الموت: بدون هذا الشر، الذي هو أيضاً حمى الأرشيف، الرغبة في وفوضى الأرشيف، ما كان هناك تخصيص بمكان ولا استيداع [في مكان]. لأن التخصيص [بمكان] هو استيداع. وعندما يقول المرء أرخي ناموسي، يقول nomos، يقول الناموس ولكن أيضاً أطروحة thesis أو themis. قانون التأسيس (nomos ، thesis أو themis) هو الـ thesis. فالـ **thesis** و themis هما أحياناً، وليس دائماً، في توتر مع الـ physis البدئي، مع ما يترجمه المرء عموماً بوصفه "الطبيعة" nature.

لذلك، فمع الأطروحة، تسلل ملحق الأطروحات الذي كان من المفروض أن يلي هذه الحاشية والتمهيد والمقدمة قبل الآن وسلفاً. إن ذلك كي لا نقاوم الرغبة في ملحق، بديل عن أطروحات فرويد[16]. ذاك الذي يتقدم على إيقاع **الأشباح** الأخرى.

أطروحـات

فيينا، 6 كانون أول، 1896.
... زينت غرفتي بأشكال جصية لتماثيل فلورنسية. كان ذلك
مصدراً للنشاط الاستثنائي بالنسبة لي.
أفكر في أن أصبح غنياً، لكي أكون قادراً على تكرار هذه
الرحلات.
مؤتمر على التراب الإيطالي! (نابولي، بومبي)
أحر التحيات لكم جميعاً،
صديقكم المخلص
سيغموند[17]

اكتشف عالم آثار شاب، نوربرت هانولد، في متحف العاديات بروما نقشاً نافراً شد انتباهه بشكل هائل بحيث أنه سُرَّ سروراً شديد بالحصول على قطعة جصية ممتازة منه تمكن من تعليقها في مكتبه[18].

لطالما اعتدت أن أكون ميتاً[19].

دعونا نتظاهر بأننا نلخص ــ حيث يبدو التخليص مستحيلاً، عندما لا يعود باستطاعة شيء أن يعيد لم (توحيد) ذاته تماماً قريباً من الرأس، من المبدأ، من الأرخي، أو من الأرشيف.

لذلك دعونا نستذكر الصيغ الاصطلاحية التي زعمنا أنها تستطيع لوحدها أن تطبع ذواتها بشكل اقتصادي للغاية باللغة الفرنسية. إنها تعبر عن حمى الأرشيف. L' Une se garde de l' autre كما قلنا L' un se garde de l' aufre pour se faire violence - L' une se fait violence. (الواحد يحفظ (يكبت) الآخر لكي يجعل ذاته عنفاً) لأنه يجعل ذاته عنفاً ولكي يصنع لذاته عنفاً.

بعبارة أخرى، أليس هذا هو ربما ما كان فرويد قد رد به؟ أليس هذا، في الجوهر، ما كان ربما قد صرح به ليروشالمي شبح فرويد الذي لا يريد أحد أن يستبدل به؟ هكذا فإن أبا التحليل النفسي ــ ووالد آنا ــ لم يأخذ في الاعتبار السؤال: المتعلق بما كتبته ابنته بالفعل، باسمه أو باسمها (إن مضمون الرد على سؤال كهذا قد أرشف قبلئذ، على الأقل في الرسالة إلى أنريكو مورسللي في وقت مبكر يعود إلى عام 1926). لكنه لم يرد ربما ــ إلى حدٍ ما، بشكل موجز، على سؤال المستقبل القادم، سؤال المستقبل بوصفه شبحاً. من يريد استبداله، أو استبدالها، بشبح فرويد؟

كيف يقدر المرء ألا يريد، أيضاً؟ ربما تكون اللحظة قد وصلت إلى المخاطرة، في برقيات قليلة، بأطروحة عن موضوع

أطروحات فرويد. ستقول الأطروحة أولاً: كل الأطروحات الفرويدية مشطورة، مجزّأة، متناقضة، مثلما هي المفاهيم، بدءاً بمفهوم الأرشيف. هكذا هو الحال بالنسبة لكل مفهوم: إنه دائماً يزيح ذاته لأنه غير منسجم أبداً مع ذاته. إنه الشيء نفسه مع الأطروحة التي تثبت وترتب المفاهيم، تاريخ المفاهيم، وتشكلها بقدر ما تثبت وترتب أرشفتها. فلماذا التشديد على الطيفية spectrality هنا؟ ألأن بيروشالمي تجرأ على مخاطبة شبح فرويد؟ ألأنه امتلك الجراءة على أن يطلب منه رداً سرياً لن يكشف النقاب عن أرشيفه أبداً؟ بلا شك، ولكن، بالدرجة الأولى لأن بنية الأرشيف بنية **طيفية**. إنه طيفي **apriori**، فلا هو حاضر ولا هو غائب "في اللحم"، لا هو مرئي ولا غير مرئي، إنه أثر باقٍ يدل دائماً على آخر لا يمكن لعينيه أن تلتقيا أبداً، ليس بأكثر مما تلتقي عينا والد هاملت، بفضل إمكانية القناع. كذلك، فإن الموتيف الطيفي يمسرح هذا الانشطار المبدّد الذي يعاني منه المبدأ الأرخوني، ومفهوم الأرشيف، والمفهوم عموماً، من المبدأ فصاعداً.

من المعروف أن فرويد قد فعل كل شيء ممكن لئلا يتجاهل تجربة الانتياب haunting، الطيفية، الأشباح، الأرواح. لقد حاول أن يفسرها بشكل جريء، وبشكل علمي، نقدي، وإيجابي قدر الإمكان. ولكن بهذه الطريقة، حاول أيضاً أن يستحضرها. ومثل ماركس، فإن وضعيته العلمية قد وُضعت في خدمة انشباحه hauntedness المعلن وفي خدمة خوفه غير المعلن.

دعونا نأخذ مثالاً واحداً فقط. سأختاره من على مقربة من رغبة الأرشيف، من على مقربة من الأركيولوجيا المستحيلة لهذه النوستالجيا، لهذه الرغبة المؤلفة في العودة إلى الأصل الأصيل والمنفرد والرغبة في العودة المرتبطة بتفسير الرغبة في العودة. لذاتها. هذا المثال يعيدني بقوة على نابولي، إلى بومبي، في مشهد غراديفا، حيث كتبت هذه الصفحات منذ حوالي عشرة أيام.

في قراءته لكتاب جنسن Jensen: **غراديفا**، Gradiva، يعلن فرويد عن كونه، نفسه، مسكوناً بالأشباح. إنه ينكر ذلك دون أن ينكره، يدافع عن نفسه دون أن يدافع عن نفسه. يسيّج نفسه، إذا شئت، في اللحظة التي يريد فيها أن يفسر النشوء الأخير لجنون (wahn) هانولد، الجنون المسكون بأشباح شخص آخر ــ ولشخص آخر كشخصية في الرواية. يظن الأخير أنه يتكلم لمدة ساعة كاملة مع غراديفا، مع شبح الظهيرة (Mittagsgespenst) مع أنها دفنت منذ كارثة 79. إنه يناجي شبح غراديفا لمدة ساعة، ثم تعود الأخيرة إلى ضريحها، وهانولد، الأركيولوجي يبقى لوحده. لكنه يبقى أيضاً مخدوعاً بفعل الهلوسة.

ما الذي سيفعله فرويد؟ لقد كان أول من طرح بشكل واضح المشكلة الكلاسيكية للشبح. ومشكلة الشبح في الأدب. إن "الشخصية" ليست الشخصية الوحيدة التي تكون قلقة أو تعاني من "التوتر" (spannung). فقبل ظهور غراديفا نسأل أنفسنا

أولاً، نحن القراء، من هي، لأننا رأيناها أولاً في هيئة تمثال حجري، ومن ثم في هيئة خيالية (Phantasiebild). إن التردد لا ينوس ببساطة بين الشبح والواقع، الواقع الفعلي (Wirkliche). بوضعه ضمن علامات اقتباس. يتكلم فرويد عن شبح حقيقي" (ein " wirkliches Gespenst): "هل هي هلوسة من هلوسات بطلنا، المضلل بفعل أوهامه؟ هل هي "شبح حقيقي"؟ أم شخص حي [leibgaftige person]؟ لكي يطرح المرء هذه الأسئلة على نفسه، يلاحظ فرويد، لا حاجة به لأن يؤمن بالأرواح". إن السؤال و"التوتر" الذي يولده هما أكثر حتمية أن جنسنن، في ما يطلق عليها بنفسه اسم "رواية خيالية" (Phantasiestüch)، لم يشرح لنا بعد ما إذا كان يريد أن يتركنا في نمطنا النثري أو إذا كان يريد أن "ينقلنا إلى عالم آخر تخيلي، تمنح فيه الأرواح والأشباح [Geister und Gespenster] واقعية Wirklichkeit. [17، التشديد من عندي]. إننا مستعدون "لمتابعة" مؤلف الرواية كما في مثالي **هاملت ومكبث**".

دعونا ألا ننسى ذلك: في منتصف النهار، في "ساعة الأشباح" (Geisterstunde)، تتبدى غراديفا، "شبح الظهيرة"، لنا في تجربة **القراءة**، ولكنها أيضاً تتبدى لبطل الرواية، في تجربة **اللغة**، التي لا يمكن تجريدها عنها، في الواقع، عن العدد الكبير من اللغات، لتترك تصوراً عارياً خالصاً أو حتى هلوسة تصورية خالصة. عن هانولد أيضاً يخاطب غراديفا باللغة

اليونانية ليرى إن كان الكائن الطيفي (Scheindasein) قد استعاد القدرة على الكلام (Sprachver mögen). دونما رد، يخاطبها بعدئذ باللاتينية؛ تبتسم وتطلب منه أن يتكلم بلغته الحقيقية، الألمانية. "إذا أردت أن تتكلم إليَّ فيجب أن تفعل ذلك بالألمانية".

لذلك فإن الشبح لا يمكن أن يكون حساساً للغة. إنه يرحب بهذه، شديد التحسس لتلك. فالمرء لا يخاطبه بمجرد أية لغة. إنه قانون من قوانين الاقتصاد، مرة أخرى، قانون الـ oikos، قانون التعامل بالإشارات signs والقيم Values، لكنه أيضاً قانون ذو شيء من الاستدجان العائلي؛ إن الانتباب [الانسكان] بالأشباح يقتضي ضمناً وجود أماكن، سكن، ويقتضي يوماً وجود بيت مسكون.

هذا الاقتصاد لم يعد مفصولاً عن أسئلة "الفعلية" effectivity، لذلك، ففي المقتطفات: هل الشبح "حقيقي" أم لا؟ لكنه أيضاً غير مفصول عن أسئلة "الحقيقة". ماذا عن الحقيقة بالنسبة لفرويد، الذي تواجهه هذه الأطياف؟ ما هي، بنظره، حصة، نصيب، قسمة الحقيقة؟ لأنه يؤمن بشيء ما مثل **قسمة** part الحقيقة. إنه يخبرنا أنه تحت التحليل، تحت الفحص التحليلنفسي، فإن افتقار هذا الوهم إلى الاحتمال Verisimilitude يبدو أنه يبدد، إلى حد كبير على الأقل: القسمة الكبرى [Zum grosseren Teile] [70]. لذلك فهناك انعدام للاحتمال يبدو أنه يبدد مع الشرح، على الأقل في جزء

كبير! فما هي هذه القسمة؟ إلام تُعزى، هذه القطعة التي تستعصي على الشرح؟ لماذا هذا الإلحاح على الجزء، التجزؤ، التجزئة، القطعة؟ وما علاقة هذه التجزئة بالحقيقة؟

إننا نعرف التفسير الفرويدي. بكونه معلناً بهذا البروتوكول الغريب فإنه يجند الآلة الايتيولوجية [السببية] للتحليل النفسي برمتها، على نحو واضح، بأواليات الكبت. ولكن ينبغي ألا ننسى أنه إذا كان التفسير التحليلنفسي للوهم، الانتياب، الهلوسة، إذا كانت النظرية التحليلنفسية للأشباح، باختصار، تترك قسمة، حصة من اللا احتمال، غير مفسرة أو بالأحرى احتمالية، تحمل حقيقة، فذلك لأنه، فرويد يعترف بذلك بنفسه بعد ذلك بقليل، ثمة حقيقة للوهم، حقيقة للجنون أو الانتياب. في مقابل تلك "الحقيقة التاريخية" التي يميزها فرويد، بشكل خاص في كتابه / موسى والتوحيد/، عن "الحقيقة المادية"، فإن هذه الحقيقة تُكبت أو تُقمع. لكنها تقاوم وتعاود، تنتمي، تؤول إلى الحقيقة الطيفية. وهم أو جنون، الانتياب لا يكون فقط مسكوناً (منتاباً) بهذا الشبح أو بذاك. الحقيقة طيفية، وهذه هي قسمتها من الحقيقة التي لا يمكن اختزالها عن طريق التفسير. بعد ذلك بقليل، يحاول فرويد مرة أخرى أن يبرر، أن يفسر هذه القسمة في الانتياب (الانشباح) الهلوسي لعالم الآثار: [إذا كان المريض يؤمن بوهمه بمثل هذا الرسوخ، فهذا ليس لأن ملكة المحاكمة لديه قد تكون مقلوبة ولا تنشأ عما هو زائف [irrig] في الوهم. على العكس، ثمة ذرة من الحقيقة محجوبة في كل وهم. وهذا هو مصدر اقتناع المريض،

الذي يكون بالتالي، إلى هذا الحد، مبرراً. هذا العنصر الحقيقي، هذه الحقيقة، بذرة الحقيقة للحقيقة] مع ذلك قد تم كبته، إذا كان في نهاية المطاف قادراً على النفاذ إلى الوعي، هذه المرة بشكل مشوه، فالإحساس بالقناعة المرتبط به يكون مفرط التكثيف كما لو أنه عن طريق التعويض وهو الآن مرتب بالبديل المشوه للحقيقة المكبوتة] [80].

لترميز أرشيف هذا الموضوع، لقراءة حقيقته بالضبط على صرح هذه القسمة، يجب على المرء أن يأخذ في الحسبان الصورة الزائفة، هذا "البديل المشوه". لكن جزءاً من الحقيقة يبقى، قطعة أو ذرة من الحقيقة تتنفس في صميم الوهم، صميم الانخداع، صميم الهلوسة، صميم الانتياب. هذا مجاز نجده مرة أخرى حرفياً في / موسى والتوحيد/ ، بالضبط عندما يميز فرويد الحقيقة "التاريخية" عن الحقيقة "المادية". على سبيل المثال: إذا كان موسى هو المسيح الأول، ويسوع المسيح هو بديله الترقيعي Erstatzman فإن ممثله وخلفه، في هذه الحالة، القديس بولس، كان بمعنى محدد من المبرر له أن يخاطب الأمم كما فعل ليخبرهم أن المسيح المخلص Messiah فعلاً قد جاء، وأنه قد حُكم عليه بالموت "أمام أعيننا". ثم، أيضاً، يقول فرويد "ثمة عنصر الحقيقة التاريخية في انبعاث المسيح [حرفياً: ثمة شيء من الحقيقة التاريخية] لأنه كان موسى المبعوث حياً ومن بعده الأب الأول المعاد [Urvater] للمجتمع البدائي، ممجداً و، بصفته الابن، موضوعاً في مكان الأب" [90].

بعد أن فسر فرويد قسمة الحقيقة على هذا النحو، وحرص على عزل بذرة الحقيقة في هلوسة عالم الآثار الذي هو طريدة "لشبح الظهيرة"، فإنه ينوي أن يثبت حقيقة هذه الزيارة الثانية (المعاودة). إنه يريد أن يثبت فيما هو يشرح. بفن التلاعب بالتشويق لديه، مثل سارد أو مؤلف رواية، يخبرنا، بدوره، قصة. ولكن كما لو أنه كان تاريخ شخص آخر، حالة، ليست حالة مريض، بل حالة طبيب. يقول: "أعرف عن طبيب" [SE 9: 71]. كان الطبيب قد رأى شبحاً. كان مشهد العودة الطيفية لشخص ميت واستطاع، باختصار، أن يدلي بشهادة على ذلك. لاحظ فرويد تماماً أن الإيمان بالأرواح، بالأشباح، وبالنفوس العائدة ينبغي ألا يعتبر بمثابة بقاء [بعد الموت]، بل هو بقية بسيطة من بقايا الدين والطفولة. إن خبرة اللقاء مع الأشباح أو تلقي زيارة منها تظل غير قابلة للإتلاف ولا يمكن إنكارها. فالناس الأكثر تثقفاً، الأكثر منطقية، الأكثر إيماناً يصالحون، بسهولة، روحانية spiritualism بعينها مع العقل. إننا على علم بالخدعة الفرويدية حول موضوع التخاطر telepathy. لقد حاولت أن أناقش ذلك في مكان آخر، بطريقة تخيلية تقريباً، ولن أعود إليه. إن نقطة الخلاف هنا هي إشكالية بالقدر نفسه. إذ يريد فرويد أن يعلّم بالاستعانة بمثال: "أعرف طبيباً..". وهو يخبرنا، كما لو أن ذلك له علاقة بشخص آخر، بمصيبة زميل [له]. إن هذا الأخير قد وبخ نفسه على حماقة مهنية: كان من الممكن أن تؤدي إلى موت أحد مرضاه. بعد ذلك بسنوات

عديدة، يرى فتاة صغيرة تدخل مكتبه. إنه يتعرف على الشخص الميت. يقول لنفسه عندئذ: "صحيح أن الموتى يمكن أن يعودوا". لقد شفيت هلوسته، كان ذلك من حسن الحظ، إذا شئتم. فالشبح نفسه بوصفه شقيقة المرأة المتوفاة وهي أيضاً كانت تعاني من داء غريفز Graves Disease.

هنا الانقلاب المسرحي، الانعطاف الدرامي. لقد تظاهر فرويد بأنه يتكلم عن شخص آخر، عن زميل له. لو كان عليّ أن أكون مدعياً إلى هذه الدرجة، مدعياً بشكل مضاعف، لقلت أنه فعل ما سأفعله بالكلام عن زميل، بيروشالمي، في حين أتكلم عن نفسي.

يقدم فرويد نفسه، يقول، باختصار "ها أنا". "الطبيب الذي حدث له هذا لم يكن، مع ذلك، أحداً سوى أنا نفسي.." [72]. وهو لا يخفق في التوصل إلى استنتاج: إنه في وضع جيد [يؤهله] ليس لحرمان هانولد عالم الآثار من الإمكانية السريرية لإصابته بوهم [توهم] عابر، بل أيضاً من الحق بهلوسة مسترقة [استراقية]. حالما يظهر نصف شبح، يكون أيضاً حق التظاهر بحقيقة بعينها (التي هي حقيقة طيفية قليلاً، طيفية جزئياً) في الشخص من صنف من نوع specie "الشبح الحقيقي". النوع، المظهر، الطيف، هذا هو ما يتبقى لرؤيته مع الحقيقة، ما هو مطلوب للتأمل بحقيقي تلك الحقيقة.

في النهاية، إن بيروشالمي على حق. فقد نجح في أن يأخذ في الحسبان قسمة الحقيقة. كان لفرويد أشباحه، إنه يعترف بذلك

أحياناً. إنه يدعنا نشارك في حقيقته. كان له أشباحه، وقد أطاعهم (ياكوب شلوموه، موسى، وآخرون قليلون) مثلما ليبروشالمي أشباحه (ياكوب شلوموه، سيغموند شلوموه، موسى، وآخرون، وأنا نفسي (ياكوب، حاييم أجدادي موسى وإبراهيم، وقليلون غيرهم).

إن خطاب فرويد حول الأرشيف، وهنا أطروحة الأطروحات، يبدو لذلك مجزّأ، مثلما هو مفهومه للأرشيف. إنه يأخذ شكلين متناقضين. هذا هو السبب في أننا نقول، وهذا التصريح يمكن أن يترجم دائماً مجاهرة، **حمى الأرشيف**. ينبغي على المرء أن يكون قادراً على إيجاد آثار لهذا التناقض في كل أعمال فرويد. هذا التناقض ليس سلبياً، إنه يعدل ويشرط تشكل مفهوم الأرشيف ذاته وتشكل المفهوم عموماً. بالضبط حيث يحملان التناقض.

إذا كان فرويد يعاني من حمى الأرشيف، إذا كانت حالته ناشئة عن مشكلة الأرشيف، فإنه ليس خارج مكانه، في الوقت نفسه، في حمى أو اضطراب الأرشيف الذي نمر به اليوم، فيما يتعلق بأخف أعراضها أو المآسي الهولوكوستية (المحرقية) الكبيرة في تاريخنا وتأريخنا الحديثين: فيما يتعلق بكافة المراجعات المقيتة، كما إعادات كتابة التاريخ الأكثر مشروعية، الأكثر ضرورية والأكثر جرأة. قبل جمع وتشكيل الادعاء الفرويدي المزدوج حول الأرشيف، أود أن أبرر التعابير الفرنسية التي استخدمتها: mal d' archive (حمى الأرشيف) و

trouble d' archive (مشكلة الأرشيف) لا شيء أقل وثوقاً، لا شيء أقل وضوحاً اليوم من كلمة "أرشيف". ليس فقط بسبب مرتبتي الأرخي arkhé اللتين ميزناهما في البداية. لا شيء أكثر تشوشاً وأكثر تشويشاً ويعكر رؤيتنا (كما يقولون بالفرنسية)، يمنع البصيرة والمعرفة، بل هناك أيضاً مشكلة القضايا المشوّشة والمشوّشة (كما يقولون بالفرنسية أيضاً)، مشكلة الأسرار، مشكلة المؤامرات، مشكلة السرية، مشكلة الاستحضارات نصف السرية، نصف العلنية، دائماً عند الحد المتقلقل بين العمومي (العلني) والخصوصي (السري)، بين الأسرة والمجتمع والدولة، بين الأسرة وحميمية أكثر خصوصية حتى من الأسرة، بين الذات والذات. لذلك فإنني أطلق تسمية **trouble** الفرنسية أو "trouble" الإنكليزية على هذه الرؤى وهذه القضايا باصطلاح فرنسي هو، مرة أخرى، غير قابل للترجمة، لأعيد إلى الأذهان، على الأقل، أن الأرشيف دائماً يحمل في طياته مشكلة الترجمة. فمع التفرد singularity الذي لا يستبدل لوثيقة ما للتفسير، للتكرار، للاستنساخ... ولكن، في كل مرة، مع فرادته uniqueness الأصلية، ينبغي أن يكون الأرشيف اصطلاحياً idiomatic ، وبالتالي معروضاً وغير متاح للترجمة بآن معاً، مفتوحاً على ومستغلقاً على التكرار والاستنساخ التقني.

لذلك لا شيء أكثر تشوشاً، أكثر تشويشاً اليوم من المفهوم المؤرشف في هذه الكلمة "أرشيف". إن ما هو أكثر احتمالاً، من

ناحية أخرى، وأكثر جلاءً هو أن التحليل النفسي ليس بلا مسؤولية. لكن اسم فرويد، اسمٌ آل فرويد ذاته، كما رأينا، يصبح جمعاً، وبالتالي إشكالياً. إن مشكلة الأرشيف تنشأ من حمى الأرشيف: الحاجة إلى الأرشيفات. بالإصغاء إلى المصطلح الفرنسي، وفيه الصفة "en mal de" ، فإن عبارة en mal d' archive يمكن أن تعني شيئاً آخر غير المعاناة من مرض، من مشكلة أو مما يمكن للاسم "mal" أن يدل عليه. إنه الاحتراق بالشغف. لن يرتاح أبداً، إلى ما لا نهاية، من البحث عن الأرشيف تماماً حيث ينسل مبتعداً. إنه [يعني] الجري وراء الأرشيف، حتى لو وجد منه أكثر مما ينبغي، تماماً حيث يكون فيه شيء ما **anarchive** ذاته. إنه امتلاك رغبة قهرية، تكرارية، وحنينية (نوستالجية) في الأرشيف، رغبة، لا تُكبت، في العودة إلى الأصل، حنين مرضي إلى الوطن homesickness ، حنين للعودة إلى المكان الأكثر عراقة للبدء المطلق. لا رغبة، لا شغف، لا دافع، لا قسر، في الواقع، لا قسر للتكرار، لا "mal - de" يمكن أن ينشأ لشخص لا يعاني قبلئذ، بطريقة أو بأخرى، من حمى الأرشيف. الآن، إن مبدأ التقسيم الداخلي للإيماءة الفرويدية، وبالتالي تقسيم المفهوم الفرويدي للأرشيف، هو أنه في اللحظة التي يشكل التحليل النفسي فيها شروط حمى الأرشيف وشروط الأرشيف ذاته، فإنه يكرر الشيء نفسه، الذي يقاومه ويصنع موضوعه. إنه يرفع الرهانات. هكذا هو الحال مع الأطروحات الثلاث زائد واحد (أو

البدائل). إن ثلاثاً منها لها علاقة بمفهوم الأرشيف، وواحداً آخر ذو علاقة بمفهوم المفهوم.

1 ـ الأطروحة الأولى والمزاد الأول (العرض الأعلى)

إن فرويد، من ناحية أولى، في الواقع، بالتصور الوحيد والحاسم لموضوع الجهاز النفسي (وبالتالي للكبت أو القمع، وفقاً لأماكن النقش، في الداخل والخارج)، قد جعل من الممكن [تحقيق] فكرة الأرشيف تحديداً، الأرشيف المقوي للذاكرة hypomnesic أو التقني، فكرة الطبقة السفلية أو المرتسَم subjectile (المادي أو الافتراضي) التي، فيما كانت قبلئذ تباعداً نفسياً، لا يمكن اختزالها إلى الذاكرة: لا إلى الذاكرة بوصفها حفظاً واعياً، ولا إلى الذاكرة بوصفها إحياء لذكرى rememoration ، بوصفها فعل إعادة إلى الذهن recalling . إن الأرشيف النفسي لا يندرج تحت بند mnémé ولا تحت anamnésis . لكن هذا، من ناحية أخرى، كما حاولت أن أبيّن في / فرويد ومشهد الكتابة / لا يمنع فرويد، بوصفه ميتافيزيقياً كلاسيكياً، من الاعتقاد بأن الصورة الزائفة التقنية هي صورة برانية، ثانوية وملحقة. برغم اللجوء إلى ما يعتقد أنه نموذج للتمثيل المساعد، فإنه يؤمن إيماناً راسخاً بأسبقية الذاكرة الحية وأسبقية التذكر في التزمين temporalization الأصلي لهما.

منه نحصل على المزاد الأركيولوجي الذي يحاول أن يعود دائماً، عن طريق التحليل النفسي، في حُمَّاه الارشيفية، إلى الأصل الحي لما يفقده الأرشيف في حين يحتفظ به في عدد من الأماكن. كما لاحظنا على طول الخط، ثمة توتر متواصل هنا بين الأرشيف والأركيولوجيا (علم الآثار). سيظلان على الدوام قريبين أحدهما من الآخر، يشبهان أحدهما الآخر، يكادان يكونان غير قابلين للتمييز في معناهما الضمني المشترك، ومع ذلك فهما متعارضان جذرياً، متغايران، أي أنهما مختلفان بخصوص الأصل، إنهما في حالة طلاق بخصوص الأرخي. كان فرويد مدفوعاً بشكل مستمر لإعادة توجيه الاهتمام الأصلي لديه بالأرشيف النفسي نحو علم الآثار (إن كلمة "أرشيف"، بالمناسبة، تظهر قبل الآن في /دراسات حول الهستيريا / [20] Studies on Hysteria (1895) إن مشهد التنقيب، مسرح الحفريات الآثارية هما مكانان مفضلان لشقيق هانولد هذا. في كل مرة يريد أن يدرّس طوبولوجيا الأرشيفات، أي طوبولوجيا ما ينبغي أن يستبعد أو يحظر العودة إلى الأصل، فإن هذا العاشق للتمثيلات الحجرية يقترح أمثولات آثارية. إن أكثرها جدارة بالملاحظة وأبكرها نشوءاً معروف جيداً في دراسة عن الهستيريا تعود إلى عام 1896. يجب علينا مرة أخرى أن نشدد على بعض الكلمات في هذا المؤلف لكي نصف ما هي، برأيي، اللحظة الأكثر حدة. إنها لحظة وليست سيرورة. هذه الوهلة لا تنتمي إلى الفك المضني لرموز الأرشيف. إنها تقريباً الوهلة

الانتشائية التي يحلم بها فرويد، عندما يتوجب على نجاح الحفر بحد ذاته أن يدلل على طمس المؤرشف: فالأصل عندئذ يتكلم من تلقاء نفسه. إن الأرخي يظهر بعريه، بدون أرشيف. إنه يقدم ذاته ويعلق بذاته على ذاته. "الحجارة تتكلم" في الوقت الراهن. تذكر بلا تذكير! لقد نجح عالم الآثار في جعل الأرشيف لم يعد يقوم بأية وظيفة. ينتهي به الأمر إلى طمس ذاته، يصبح شفافاً أو لا ضرورياً، لكي يدع **الأصل** يقدم نفسه شخصياً. حياً، بدون توسط، وبدون تأجيل. بدون حتى ذاكرة للترجمة، عندما يكون شغل الترجمة الكثيف قد نجح. وهو ما سيكون "ارتقاء" "للتذكر". إن الزمن الذي يكرسه فرويد لهذه الرحلة الطويلة في حقل الحفريات أيضاً يقول شيئاً مبهجاً: إنه يفضله أن يكون لا نهائياً، إنه يطيله تحت ذريعة التربية أو الخطابة: [ولكن لكي نشرح العلاقة بين الأسلوب الذي يتعين علينا أن نستخدمه لهذا الغرض والأسلوب الأقدم، أسلوب الاستقصاء التذكيري، أود أن أعرض أمامكم تشبيهاً مستعاراً من الارتقاء الذي تم بالفعل في ميدان عمل آخر. تصور مستكشفاً يصل إلى منطقة معروفة قليلاً حيث يثير اهتمامه اتساع الآثار، مع بقايا الجدران، قطع الأعمدة، والرقيمات ذات النقوش شبه الممحوة وغير المقروءة. قد يقنع نفسه بتفحص ما يقع تحت بصره، مع قيامه بسؤال السكان ــ فقد يكونون أناساً شبه همجيين ــ الذين يسكنون في الجوار، حول أي تراث ينبئهم عن تاريخ ومعنى هذه البقايا الأثرية. ومع تدوين ما يحكونه له ــ

وقد يكمل بعدئذ رحلته ــ لكنه قد يتصرف بشكل مختلف. ربما يكون قد جلب معه المعاول، والرفوش والمجارف، وقد بدأ السكان العمل بهذه الأدوات. قد يبدأ العمل معهم على الآثار، فيزيل سقط المتاع، ويبدأ من البقايا المرئية بكشف ما هو مدفون. إذا تُوج عمله بالنجاح، فإن الاكتشافات تكون مفسرة لذاتها: الجدران المهدمة هي جزء من استحكامات قصر أو دار كنوز [خزينة]، قطع الأعمدة يمكن إتمامها إلى معبد [هيكل]؛ النقوش الكثيرة التي يمكن، لحسن الحظ، أن تكون مكتوبة بلغتين، تكشف عن أبجدية ولغة، وعندما تفك رموزها وتترجم، تقدم معلومات لا يحلم بها حول أحداث الماضي السحيق. إحياءً للذكرى التي شيدت فيها النصب التذكارية! [Sax Loquuntur [أسباب الهستيريا 1896 ,SE 3: 192][21].

2 ـ الأطروحة الثانية والمزاد الثاني [العرض الأعلى]:

من ناحية أولى، يُجعل الأرشيف ممكناً عن طريق دافع الموت والعدوان والتدمير، أي أن نقول أيضاً عن طريق التحديد الأصلي والمصادرة. ولكن وراء التحديد بصفته حداً، ثمة، كما قلنا أعلاه، هذه الحركة اللا محدودة تماماً للتدمير الجذري الذي

بدونه لن تحصل رغبة [في] أو حمى الأرشيف. كل النصوص في العائلة ونصوص فترة / ما وراء مبدأ اللذة/ تُفسر، في النهاية، السبب في وجود الأرشفة والسبب في أن التدمير اللا مؤرشف ينتمي إلى عملية الأرشفة وينتج الشيء ذاته الذي يختزله، في بعض الأحيان، على رماد، وما بعد. لكنه، من ناحية أخرى، في اللحظة ذاتها، بصفته ميتافيزيقياً كلاسيكياً ومستنيراً Aufklärer وضعياً، عالماً نقدياً لعصر سابق، "فقيهاً" لا يريد التكلم مع الأشباح، يزعم فرويد أنه لا يؤمن بالموت و، قبل كل شيء، بالوجود اللافتراضي للفضاء الطيفي الذي، برغم ذلك، يأخذه في الحسبان. إنه يأخذه في الحسبان لكي يفسره، وهو يتقصد أن يفسره أو يبرهنه بالضبط فقط فيما هو يختزله إلى شيء ما غير ذاته هو، أي إلى شيء ما غير الآخر. إنه يريد أن يفسر ويختزل الإيمان بالأشباح، يريد أن يمعن التفكير في ذرة الحقيقة من هذا الإيمان، لكنه يؤمن بأن المرء لا يمكنه أن يؤمن بها وأنه ينبغي على المرء ألا يؤمن بها. الإيمان، الظاهرة الجذرية للإيمان، العلاقة الممكنة بالآخر كآخر، لا يمتلك في النهاية أي مكان ممكن، أية مكانة قابلة للاختزال في التحليل النفسي الفرويدي. الأمر الذي، مع ذلك، يجعله ممكناً. هو الذي نحصل منه على المزاد الأركيولوجي للعودة إلى الواقع، هنا، إلى الفعلية الأصلية لقاعدة الإدراك المباشر. قاعدة أكثر رسوخاً وأماناً من قاعدة هانولد الأركيولوجي. حتى أكثر أركيولوجية. تأخذ المفارقة شكلاً صارخاً، هلوسياً تماماً، في

اللحظة التي يرى فيها فرويد نفسه مرغماً على ترك الأشباح تتكلم طوال مدة الحفريات الأركيولوجية لكنه ينتهي إلى التخلص منها في اللحظة التي يقول فيها أخيراً، وقد أنهى العمل (أو يفترض به أن يكون قد أُنهي)،: "أيتها الحجارة تكلمي!" يعتقد أنه قد تخلص منه في اللحظة التي يدعها تتكلم، بشرط أن تتكلم هذه الأطياف، كما يعتقد، باللغة المجازية. مثل الحجارة، لا شيء سوى...

3 ـ الأطروحة الثالثة والمزاد الثالث (العرض الأعلى):

من ناحية أولى، لا أحد سلط الضوء، أفضل مما فعل فرويد، على ما أسميناه المبدأ الأرخوني للأرشيف، الذي يفترض في حد ذاته، بشكل مسبق، ليس الأرخي الأصلي، بل الأرخي النومولوجي للقانون، التأسيس للإيواء، للبنوة. لا أحد حلل، أي فكك [قوّض] سلطة المبدأ الأرخوني أفضل مما فعل فرويد. لا أحد بيّن كيف أن هذا المبدأ الأرخوني، أي الأبوي والبطريركي، لم يثبت ذاته إلا ليكرر ذاته ولم يعد تثبيت ذاته إلا بقتل الأب parricide. إنه يساوي قتل الأب المكبوت أو المقموع، باسم الأب بوصفه أباً ميتاً. فالأرخوني هو في أحسن الأحوال استلام

للأرشيف من قبل الأخوة، المساواة وحرية الأخوة. إنه مفهوم بعينه. مفهوم حيوي، مع ذلك، للديموقراطية.

لكن فرويد، من ناحية أخرى، في حياته كما في أعماله، في أطروحاته النظرية كما في قسر استراتيجيته الممأسسة، قد كرر المنطق البطريركي. فقد أعلن، بشكل واضح في / الرجل الجرذ / The Ratman ، أن الحق الأبوي (Vaterrech) قد وسم مسيرة تحضّر العقل. حتى أنه أضاف إليه مزاداً أبوياً، إلى درجة أن كل ورثته، المحللين النفسين لكافة البلدان، توحدوا كرجل واحد، ليحذوا حذوه ويرفعوا الرهانات. إلى حد أن بعض الناس قد يتساءلون، بعد موته بعقود، إذا كان بإمكان أبنائه، أخوته الكثيرين جداً، أن يتكلموا، مع ذلك، باسمهم الخاص. أو فيما لو أن ابنته قد عادت إلى الحياة (Zoé)، فإنها لن تكون سوى شبح، أو روح، غراديفا مبعوثة من جديد rediviva، غراديفا ــ زوي ــ برتغانع تعبر [شارع] برغاسه Berggasse 19.

تعقيـــب

بالصدفة، كتبتُ هذه الكلمات الأخيرة على حافة [بركان] فيروفيوس، تماماً قرب بومبي، منذ أقل من ثمانية أيام. في كل مرة أعود إلى نابولي، منذ أكثر من عشرين عاماً، تخطر هذه الكلمات ببالي.

من أفضل من غراديفا، قلت في نفسي هذه المرة، غراديفا جنسن وغراديفا فرويد، يمكنه أن يوضح هذا المزاد / الرهان في حمى الأرشيف؟ إنها توضحه حيث لا يعود ملائماً لفرويد أو لمفهومه للأرشيف، حيث يسم في بنيته (وهذه أطروحة ملحقة أخرى) تشكل كل مفهوم، تاريخ المفهوم ذاته؟

عندما يريد شرح الانتياب [الانشباح] الأركيولوجي بمنطق الكبت، في اللحظة ذاتها التي يقرر فيها أنه يريد الاعتراف بذرة أو بجزء من الحقيقة، يزعم فرويد مرة أخرى أنه يسلط الضوء على أصل أكثر أصالة من أصل الروح [الشبح]. في المزاد يريد

أن يكون مؤرشفاً أكثر آثارية من الآثاري. و، بالطبع، أقرب إلى القضية الجوهرية، عالماً بالأسباب etiologist أحسن من كاتبه الروائي novelist. إنه يريد أن ينبش انطباعاً أكثر عراقة، يريد أن يكشف طبعة [دمغة] imprint أكثر عراقة من الطبعة التي يلوب حولها الآثاريون الآخرون من كل الأصناف، آثاريو الأدب وآثاريو العلم الوضعي الكلاسيكي، طبعة تكون متفردة في كل مرة، انطباعاً لم يعد أرشيفاً، تقريباً، بل الأرشيف الذي يكاد أن يخلط نفسه بأثر القدم التي تترك أثرها الذي يظل حياً على طبقة سفلية، على سطح، على مكان الأصل. عندما تظل الخطوة متوحدة مع المرتسم في اللحظة التي يتعين فيها مع ذلك فصل الأرشيف المطبوع عن الانطباع الأول في أصله المتفرد، الذي لا يُختزل، والعريق. في اللحظة التي يتعين فيها مع ذلك ترك الطبعة، التخلي عنها عن طريق ضغط الانطباع. في لحظة التعلق الذاتي [حب الذات] المحض، في لا تمايز الفاعل والمنفعل، اللامس والملموس. إنه الأرشيف الذي سيخلط ذاته بالأرخي، بالأصل الذي يكون له وحده **النموذج**، الـ **typos**، الحرف المقابل للتكرار أو الرمز. أرشيف بدون أرشيف، حيث، نظراً لكونه لا متمايزاً فجأة عن انطباع طبعته، تتكلم خطوة غراديفا بذاتها!

الآن، هذا هو بالضبط ما حلم به هانولد في رغبته، رغبة الآثاري المتحرر من السحر والأوهام، في اللحظة التي أنتظر فيها قدوم "شبح الظهيرة". إن هانولد يعاني من حمى الأرشيف.

لقد استهلك علم الآثار. أصبح، كما تقول الرواية، أستاذاً في فن فك الألغاز الأكثر استعصاءً على الحل، الأكثر إلغازاً enigmatic.

لكنه كان يمتلك ما يكفي من علمه ومقدراته. رغبته الملحاحة تمردت إيجابيتها كما لو أنه أمام الموت. العلم ذاته كان من الماضي. إن ما درسه، قال في نفسه، إنما هو بديهية آثارية لا حياة فيها. في اللحظة التي يعود فيها بومبي إلى الحياة، عندما يستيقظ الميت، يفهم هانولد كل شيء. يفهم لماذا سبق له أن سافر عبر روما ونابولي.يبدأ بمعرفة (Wissen) ما لم يكن عندئذ قد عرفه، أعني تحديداً "دافعه الحميم" و"حافزه". وهذه المعرفة، هذا الفهم [الاستيعاب]، هذا الترميز للرغبة الجوانية في الترميز التي ساقته إلى بومبي، كل ذلك يعود إليه في فعل التذكر [الذاكرة] Erinnerung . إنه يعيد إلى الأذهان أنه قد توصل إلى رؤية ما إذا كان بمقدوره أن يجد آثار خطوات غراديفا.

الآن، ثمة نقطة لا تؤخذ في الحسبان، لا في قراءة جنسن ولا في قراءة فرويد، وهذه النقطة تخلط أكثر ما تميز: إن هانولد قد توصل إلى البحث عن هذه الآثار بالمعنى الحرفي (in wörtlichen sinne). إنه يحلم بالعودة إلى الحياة. يحلم بالأحرى بالانفراج، ولكن بانفراج الآخر. بانفراج الضغط المتفرد أو الانطباع الذي يجب أن تكون قد تركته في الرماد خطوة غراديفا [Pas]، الخطوة ذاتها، خطوة غراديفا نفسها في

ذلك اليوم تجديداً، في ذاك الوقت، في ذاك التاريخ، فيما كان لا يضاهى فيها. إنه يحلم بهذا المكان الذي لا يستبدل، الرماد ذاته، حيث الطبعة المتفردة، مثل التوقيع، يصعب تمييزها عن الانطباع. وهذا هو شرط التفرد، المصطلح، السر، الشهادة [البينة]. إنه الشرط لأجل فرادة uniqueness الطابع ــ المطبوع، فرادة الانطباع والطبعة، فرادة الضغط وأثره في اللحظة الفريدة حيثما لا يكونان، مع ذلك، متميزين أحدهما عن الآخر، يشكلان في لحظة جسماً واحداً منفرداً لخطوة غراديفا، لمشيتها، لخطوها Gangart، وللأرض التي تحملها. إن الأثر لا يعود يتميز عن طبقته السفلية. لا يعودان يميزان بين ذاتيهما، هذا الضغط وهذه الطبعة يختلفان من هنا فصاعداً عن كل الانطباعات الأخرى، عن كل الطبعات الأخرى، عن كل الأرشيفات الأخرى. على الأقل تلك الطبعة (Abdruck) تتميز عن كل الأخريات، يجب إعادة اكتشافها ــ لكن ذلك يفترض مسبقاً وجود **الذاكرة** والأرشيف، الواحد والآخر بوصفهما الشيء نفسه، تماماً على المرتسم نفسه في حقل الحفريات. يجب إحياؤها تماماً حيث، في موقع آمن بشكل مطلق، في مكان لا يستبدل، تظل تحمل، على الرماد تماماً، الرماد الذي لم يفصل نفسه بعد، تحمل ضغط خطوة غراديفا المتفردة للغاية.

هذا هو ما يعنيه هانولد الآثاري بمعنى حرفي **بالمعنى الحرفي.**

"بالمعنى الحرفي" (im wörtlichen sinne)، تقول القصة: "شيء ما" دخل إلى وعيه للمرة الأولى [zum ersten mal]: دون أن يكون مدركاً بنفسه للدافع بداخله، كان قد جاء إلى إيطاليا وتابع سفره إلى بومبي، دون توقف في روما أو في نابولي، لكي يرى ما إذا كان بمقدوره أن يجد أية آثار لها. و"آثار" بالمعنى الحرفي، لأنها بمشيتها الخاصة لابد أن تكون قد تركت وراءها طبعة أصابع قدميها في الرماد متميزة عن كل البقية"[22] [ترجمت بتصرف SE 9: 65].

هذه الفرادة لا تقاوم. إن ثمنها غير محدود. لكنه غير محدود بالحد الهائل، غير القابل للقياس الذي يظل به غير قابل للإيجاد. إن إمكانية أرشفة الأثر، هذه **الإمكانية** البسيطة، لا يمكنها سوى أن تقسم الفرادة. فاصلة الانطباع عن الطبعة. لأن هذه الفرادة ليست حتى مضارعاً ماضياً. لم تكن ممكنة، يمكن للمرء أن يحلم بها بعد الحقيقة، إلا بمقدار إمكانية تكرارها، أي أن قابليتها المتأصلة للتقسيم، إمكانية شطرها تسكنها من الأصل. هذا التفرد لا يمكن أن يسلم به سوى للشبح. هل إن الرواية مبالغ فيها هنا؟ هل تفتقر إلى المعرفة؟ هل كان جنسن يعرف عن ذلك أقل مما يعرفه فرويد؟ [23] وهانولد؟

يمكن للمرء دائماً أن يحلم أو يتأمل بهذا الوصف السري. فالتأمل يبدأ هناك ــ والإيمان. ولكن للسر ذاته، لا يمكن أن يوجد أرشيف، بالتعريف. السر هو الرماد بذاته للأرشيف، المكان حيث لا يعود له حتى أي معنى في أن تقول "الرماد

بذاته" [La Candre même] أو على الرماد ذاته [à même la candre]. لا معنى في التفتيش عن سر لا يمكن لأحد أن يكون قد عرفه. بالأحرى لشخص، هانولد الآثاري.

هذا هو ما يشهد عليه هذا الأدب. لذلك ثمة هنا شهادة متفردة، أدب بحد ذاته، وريثٌ نجا ــ أو تحرر ــ من الكتاب المقدس. هنا يوجد ما يمنحنا إياه لنفكر به: سر غراديفا الذي لا يُنتهك، سر هانولد، سر جنسن، ومن ثم سر فرويد ــ وسر عدد قليل من الآخرين. بعد كل استفسار ممكن وضروري، سوف نتساءل دائماً ما الذي أراد فرويد (على سبيل المثال)، وما الذي أراد كل "كاتم حريص" أن يبقيه سراً: سوف نتساءل ما الذي يمكن أن يكون قد حفظه من حقه غيرا لمشروط في السرية، في حين كان في الوقت نفسه يكتوي بالرغبة في معرفة، إفشاء، وأرشفة الشيء ذاته الذي كتمه إلى الأبد. ما الذي تم كتمه؟ ما الذي كتمه حتى وراء النية في الكتمان، في الكذب، أو في الحنث بالقسم؟

سوف نتساءل دائماً ما الذي يمكن أن يكون قد حرقه في هذه الـ mal d' archive. سوف نتساءل دائماً، مشاطرين هذا الحنو، في حمى الأرشيف هذه، ما الذي يمكن أن يكون قد احترق من غرامياته السرية، من مراسلاته، أو من"حياته". احترق بدونه، بدون بقايا وبدون علم: بدون أية استجابة ممكنة، سواءاً كانت طيفية أم لا، دون القمع أو بعده، على الحافة

الأخرى من الكبت، الأصلي أو الثانوي، بدون اسم، بدون أقل عَرَض symptom، وبدون حتى رماد.

نابولي 22 ــ 28 أيار 1994.

هوامش الكتاب

(1) بالطبع، إن مسألة سياسة الأرشيف هي توجهنا الدائم هنا، حتى لو لم يسمح لنا الوقت بمعالجتها مباشرة وبالأمثلة.

هذه المسألة لن تقرر أبداً بوصفها مسألة سياسية من بين مسائل أخرى. إنها تتغلغل في كل الحقل وفي الحقيقة تقرر السياسة من القمة إلى القاعدة بوصفها شأناً عاماً res publica . لا توجد سلطة سياسية بدون سيطرة على الأرشيف، إن لم يكن على الذاكرة. إن الدمقرطة الحقيقية يمكن قياسها دائماً بهذا المحك الأساسي: المشاركة في وحرية الوصول إلى الأرشيف، تكوينه وتفسيره. بالمقابل Acontrario، إن ثغرات الديموقراطية يمكن قياسها عن طريق مؤلف حديث جدير بالملاحظة بطرق عديدة، يحمل عنوان الأرشيفات

المحظورة: / Archives interdits: les peurs Francaises ./Face â l' histoire contenpoarire

تحت هذا العنوان الذي نورده بوصفه كناية عما هو مهم هنا، فإن سونيا كومب Sonia Combe لا تجمع فقط مجموعة معتبرة من المواد، لإضاءتها وتفسيرها بل إنها أيضاً تطرح أسئلة جوهرية عديدة حول كتابة التاريخ، حول "كبت" الأرشيف [318]، حول "الأرشيف المكبوت" بوصفه "سلطة".. سلطة الدولة على المؤرخ" [321]. من بين كل هذه الأسئلة، وبإحالة القارئ إلى هذا الكتاب، دعونا نعزل السؤال المتناغم، بطريقة ما، مع النغمة المنخفضة لفرضيتنا، حتى لو كانت هذه النغمة الأساسية الأرشيف الأبوي patriarchive لا تشمل كل النغمات الأخرى. كما لو أن سونيا كومب في السياق تسأل في الحقيقة: "آمل أن يغفر لي لإضفائي بعض المصداقية على الملاحظة التالية، ولكن، كما يبدو، ليس صدفة أن نقابة المؤرخين المشهورين لفرنسا المعاصرة هي أساساً، بغض النظر عن استثناءات قليلة، هي نقابة ذكورية.. لكنني آمل أن أكون مفهومة أيضاً..." (315).

(2) إن بيروشالمي، الذي شارك في هذا المؤتمر، كان مقرراً أن يكون موجوداً خلال هذه المحاضرة. ولما كان مريضاً فإنه لم يتمكن من الحضور، وقد تُليت مساهمته الخاصة من قبل شخص آخر في اليوم التالي.

(3) قررت أنه ينبغي القيام بهذه الإضافة الحذرة (على الأقل مجازاً)، بعد حديث ودي مع بيروشالمي الذي حذرني بشكل صائب، بعدئذ

بعدة اشهر في نيويورك، من قراءة يبدو أنها سوف تشير إشارة حرفية أو مباشرة إلىٰ حدث الختان المحدود بتاريخ معين. إنني أرى ذلك كما يراه هو وأنا أكثر إدراكاً لذلك بفضله. وهذا مع ذلك سبب آخر لا متناني. كما يبدو مع ذلك من الصعب أن نناقش كون هذا الإهداء في ميليتزاه Melitzah يضم كل دلالاته ويجعل كل مجازاته (بدءاً بمجاز "الجلد الجديد") تلتقي في اتجاه لحظة الميثاق، إنها في الحقيقة لحظة الميثاق المتجدد، هل من غير المناسب أن نقرأ هنا استذكاراً سنوياً للختان، من أب إلى ابن؟ أي استذكاراً لمجاز الختان تحديداً، في لحظته النموذجية، في نوع النقش الواضح المعالم، في حرفه التدشيني المتكرر بآن معاً والمتجدد بانتظام؟

(4) يبقى القوس مع أبى أبي التحليل النفسي. ابق معي، قال يهوه لموسى، أرسلهم إلى خيامهم[31– 30 .V .V]. بعد وقت قصير من التذكير. قوس الميثاق يرمز إلى الأمر بختان قلفة القلب [16: 10].

(5) يأخذ ييروشالمي هذه النصوص في الحسبان. فهو يدرك جيداً أن فرويد كان مدركاً بشكل جيد له: إن وراثة الصفات المكتسبة قد دحضها العلم. مع ذلك، لتفسير الولوع العنيد باللاماركية، فإنه يستحضر المؤلفات النفسية لإلزه غروبريش ــ سيميتين Ilse Grubrich – Simitis حول هذا الموضوع، ثم يسأل نفسه إذا كانت اللا ماركية (دون أن تكون بالطبع شيئاً "يهودياً") لم تغرِ اليهودي في فرويد. هل إن اللا ماركية "مفككة إلى مصطلحات يهودية" لا تدل على أن اليهودي لا يمكنه أن يكف عن كونه يهودياً

"لأن قدر المرء في كونه يهودياً قد تحدد منذ زمن طويل من قبل الآباء، وأنه غالباً ما يشعره المرء بشكل أعمق وأكثر غموضاً من السلك الذي يقطر في الدم". ثمة رسالة من فرويد إلى تسفايغ تتكلم اللغة نفسها، في الواقع، بخصوص أرض إسرائيل والميراث الذي تركته قرون من الإقامة في "دمنا وأعصابنا" (ورد لدى بيروشالمي 31). يورد بيروشالمي أيضاً مقتطفاً من إدلهايت Edelheit في ملاحظة: وفقاً لفرود، في الحقيقة، "بالرغم من أن التطور البشري هو "تطور داروينى عبر الجينات" فإنه "لاماركي عبر اللغة والثقافة". [31 n 44].

(6) إن موضوعة الختان، على كل، تدرس من وجهات نظر عديدة في كتاب / موسى والتوحيد/.فمن وجهة نظر تاريخية، إنها "مستحاثة أثرية (L'eit Fossil) لأجل استقصاء الذاكرة وتفسير علاقات الإسرائيليين بالعبودية في مصر والخروج من مصر (حيث كان الختان ممارسة من ممارسات أهل البلاد). من وجهة نظر أكثر بنيوية، فإن الختان هو البديل الرمزي لخصاء الابن من قبل الأب البدئي.

(8) في الواقع يميز بيروشالمي، وسنعود إلى ذلك لاحقاً، بين صفة اليهودية Jewishnes والديانة اليهودية Judaism. فالديانة اليهودية قد تكون "نهائية" ومحدودة، كدين، كتراث، كثقافة؛ أما صفة اليهودية فليست كذلك. لا يمكن للمرء أن يترجم عبارة (at its the Furthest away form) بعبارة (jewish–most un

La plus éloignee du) أو بالفرنسية (Judaism) judaisme) دون المخاطرة بخيانة أو فقدان أطروحة هذا الكتاب تحديداً.

(9) فيما يتعلق بمسألة الأخ، بين اليهودية والمسيحية وخصوصاً في مؤسسة التحليل النفسي، اسمحوا لي أن أحيلكم على politiques de l'amitié . إن ييروشالمي، الذي يكرس صفحات جميلة لمسألة قتل الأخ، يقدم الفرضية التي بموجبها يقدم مجاز قايين [قابيل] شرحاً "قوياً" بعد مجاز أوديب.

(10) في تعقيب عام 1987 الذي لا يظهر في الطبعة الأولى.

(11) أنصح بملاحظة (134 ــ 133) 45 لأولئك الذين قد يكونون أكثر اهتماماً بهم ييروشالمي في أن يرسم في الوقت نفسه الأولوية والملائمة الحصرية لهذه القراءة، ما هو مناسب فيها وما يبقى ملائما لها. هذه الملاحظة تعنى بمنافسة نسختين أخريين، ترجمتين أخريين، وتحليلين آخرين.

(12) إن نص Selbstdartstellungen ، نشر لأول مرة في Die Medizin der Gegenwart (1925)، ظهر بالإنكليزية كدراسة سيروية ذاتية. [7 :20 SE–70].

(13) حاولت بدوري، خصوصاً في Force de loi (قوة القانون) وفي / أطياف ماركس، أن أحدد موقع العدل، العدل الذي يتجاوز ويشترط القانون من جانب فعل الذاكرة، مقاومة النسيان سواء كان

ذلك نسيان الأمر بشكل عام أو مكان استيداعه: الناس الآخرين، الأحياء أو الأموات.

(14) إنها فقرة حاولت أن أفسرها سابقاً في علاقتها بأصل القانون وبالإشارة إلى كتاب كافكا:

Vor dem Gesetz CF. "Préjuges: Devant la loi"

(15) في نهاية هذه المحاضرة، بدون سخرية، أتصور، بعمق يصل حد الدهشة ولكن، كما دائماً، بوضوح نظر عنيد، علق جيوفري بينينغتون لي أنه بالتشديد، وقبل كل شيء عن طريق الإدخال في اللعب، على مثل هذه اللا قابلية للترجمة untranslatability ، غامرت بتكرار الإيماءة التي يبدو أنني حولتها إلى سؤال في يدي الآخر، أعني إثبات الفريد أو إثبات المصطلح.

توضيحاً للرد الذي قدمته له عندئذ، سأقول بإيجاز ثلاثة أشياء:

1) ــ لم أتحدث عن اللا قابلية للترجمة أو الاصطلاحات المطلقة، بل عن اقتصاد أكبر (كانت مسالة قولي بكلمات فرنسية قليلة، في هذه الحالة، في هذه الواقعة، ما الذي يمكن بكل الوسائل ترجمته بأية لغة، إذا استعمل المرء مزيداً من الكلمات فحسب)، وهو يكفي لتغيير المعنى السياسي لهذه الإيماءة.

2) ــ أعتقد أن إثبات اصطلاحية بعينها، فرادة بعينها، كإثبات اختلاف بعينه، تأجيل deffering، أي أن نقول، مشوب، وحدة لا يمكن اختزالها، وضرورية. لذلك أردت أن أبرهنها عملياً ــ ما يفعله المرء تالياً بهذا الإثبات، وبهذه المشوبية impurity، هو بالضبط حيث تدخل كل السياسات.

3) دعونا نقول أخيراً أنني أردت أن أمارس، بإيماءة سياسية أخرى، حقي الخاص بالسخرية ومعرضاً نفسي لها بلغتي، لإعطاء مثال على هذه الضرورة القاتلة ومخاطرها.

(16) لا يتردد فرويد في التكلم عن صورة زائفة للكبت. تثبت بعض "التقانات" المساعدة والاستبدالية أن "تحقيق" في شكله النظامي يواجه المصاعب. لكن إشارة الفشل هذه تسمح أيضاً بتسليط الضوء "بشكل افضل على الصورة الزائفة"، "غاية" و"تقنية" الكبت. كل هذا يعنى بالحدث نفسه، مجيء ما يصل أولاً. لا يوجد شيء تصادفي في واحدة من تلك الصور الزائفة يخدم الـــ " ungeschehen machen" في جعله لم يحدث) حتى بالرغم من أنه قد حدث بذلك تعامل حدثاً على أنه "لم يحدث" (بالفرنسية في النص non arrive). انظر [Inhibitions, Symptoms and Anxiety] [20 :77].

(17) رسالة إلى فيلهملم فليس (6 كانون أول 1896) [الرسائل الكاملة 214]. هذه الكلمات تختم رسالة طويلة يعرف فيها فرويد علاقات "التطبّق" [التنضد] stratification الطوبوغرافي، الأركيولوجي أو الأرشيفي من بين عدة انواع من "التسجيل" (ثلاثة أو ربما أكثر، كما يظن). هذه الرسالة تمثل مسبقاً الـــ "ملاحظة حول" مختمة الكتابة السرية "في حينها بالتفصيل. [227 :19 Se–32].

(18) فرويد، الأوهام والأحلام في "غراديفا" جنسن (6 ــ 19 ــ 7 ــ 19) سوف نورد هذه الترجمة من هنا فصاعداً، مع تعديلها من حين لآخر.

Ich habe mich schon lange daram gewöhnt, [19]
tot zu sein" Jensen, Gradiva, cited by Freud (SE
"9: 85)

[20] كما ذكرني داني نوبوس بعد المحاضرة، مشكوراً، تظهر الكلمة نفسها في: Zum psychischen Mechanismus des Vergesslichkeit (1898).

[21] الأنكى من ذلك أن الأمثولة تصبح "مقارنة.. مع حفر لموقع خَرِب متطبق (منضد) [198: 3].

"... Im wörtlichen sinne, den bai ihrer [22]
besonderen Gangart musste sie in der Ashe
einen von allen übrigen sich unterscheidenden
Abdruck der Zehen hinterlassen haben"

[23] من المعروف أن فرويد لم يفشل في معالجة هذه المسألة باستراتيجية محبطة في بعض الأحيان، ينصفها في شكلها العام في أكثر من مناسبة، ولكن أيضاً مع هذا المثال هنا بنصه الذي يدور حول غراديفا جنسن. لأن جنسن، كما يلاحظ فرويد، يقترح سببيات وأنسابيات لـــ "وهم" هانولد. فهل تصمد في وجه العلم؟ بعد أن اقترح، بطريقة استفزازية ومباغتة بشكل متعمد، أن يعكس الطرفين (إنه العلم الذي لا يصمد في وجه الرواية) فإن فرويد يعقد الأمور. يقترح التحالف، مثل باحث علم جديد، ومسلح بشكل أفضل بكثير، مع الروائي. فالأخير لن يكون لوحده إذا "كان بمقدوري أن أعتبر أعمالي

بمثابة جزء من العلم" يقول فرويد، وإذا كان بمقدوره أن يغادر عزلته المؤقتة.

ملاحظة من العام 1912 تشير إلى أن هذه العزلة تصل إلى نهايتها".. "الحركة التحليلنفسية التي بدأت بي أصبحت ممتدة بشكل واسع وهي في تنامٍ مستمر". [SE 9: 53].

يطرح السؤال نفسه من وجهة نظر أخرى في الفصل الرابع، الذي ينتهي إلى حافة حقيقة جلية منسية على طول الخط: "ولكن يجب علينا أن نقف هنا، أو يمكننا فعلاً أن ننسى أن هانولد وغراديفا ليسا سوى مخلوقين من بنات أفكار مؤلفهما. [SE 9: 93] في مكان آخر، من وجهة نظر أخرى، سندرس هذه النصوص ومسائل المزايدة العصية على التفسير هذه.

محتويات الكتاب

حمى الأرشيف ؟ انطباع فرويدي 5

حاشية 15

حاشية (1) 17

حاشية (2) 38

تمهيد 45

مقدمة 57

أطروحات 135

الأطروحة الأولى والمزاد الأول (العرض الأعلى) .. 150

الأطروحة الثانية والمزاد الثاني (العرض الأعلى) .. 153

الأطروحة الثالثة والمزاد الثالث (العرض الأعلى) .. 155

تعقيب 157

هوامش الكتاب 167

حمى الأرشيف الفرويدي

هناك حيث تبدأ الأشياء (المبدأ الفيزيائي أو التاريخي أو الأنطولوجي)، بل هناك: حيث (الناموس)،بل هناك:حيث يأمرالبشر والألهة، بل هناك: حيث تُمارَسُ السلطة والنظام الأجتماعي هناك: يعالج جاك دريدا أسئلة هذا الكتاب.

ولأنه ما من سلطة سياسية دون سيطرة على الأرشيف-إن لم يكن على الذاكرة فالدمقرطة الحقيقية يمكن قياسها دائماً بالمشاركة في حرية الوصول إلى الأرشيف، وفي تكوينه وتفسيره.

وبالمقابل،فثغرات الديمقراطية يمكن قياسها بطرق عديدة عنوانها الأرشيفات المحظورة.

فلنمضِ إذن إلى لقاء دريداً مع فرويد

دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا - اللاذقية - ص.ب 1018 هاتف 422339

فاطم حمدان